Journal of Al-Tamaddun, Vol. 17 (1), 2022, 183-200
https://doi.org/10.22452/JAT.vol17no1.14

جمالية الأفكار الاجتماعية والسمات الحضارية بين الروائيين: عبد الرحمن منيف وعزيزي الحاج عبد الله
(The Beauty of Social Concept and Civilization Traits between Two Novelists: Abd al-Rahman Munif and Azizi Haji Abdullah)

Nursafira Lubis Safian,[*] Mohamad Ahmed Al-Qudah,[**] & Mohamad Zulfazdlee Abul Hassan Ashari[***]

ملخص

اشتهر عبد الرحمن منيف وعزيزي الحاج عبد الله في مجتمعهما العربي والملايوي لغزارة مصنّفاتهما الإبداعية التي لقيت إقبالاً حسنًا، بل طبعت جلّها في طبعات عديدة كما ترجمت بعضها إلى العديد من لغات العالم. شارك الروائيان المواقف نفسها تجاه المجتمع وحقيقته، فتبيّنت آراؤهما التي تثير اهتمام المجتمع وتشغل الرأي العام في مؤلفاتهما الأدبية. وقد أدى كل واحد منهما دورًا مهمًا في رفع الشأن الأدبي النثري خاصةً فن الرواية، وأسهما في إظهار وقائع المجتمع العربي والملايوي عن طريق كتابتهما الإبداعية في الروايات. ذاع الصيت لكل منهما في الدول العربية، وفي ماليزيا خاصة وفي جنوب شرق آسيا عامة، فضلاً عن أن رواياتهما تركت آثارا عميقة في قلوب القراء وجذبت اهتمام النقاد على حد سواء. وبناء على هذا، رأى الباحثون أن يتناولوا هذه القضية بالدراسة والتحليل، فارتأوا القيام بالمقارنة بين الروايتين؛ "أم النذور"، و"Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)" من خلال عرض الكاتبين للأفكار الاجتماعية والسمات الحضارية. ويتكئ الباحثون على منهج المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن الذي يركّز على أوجه التوازي والتباين بين الروايتين عند تناولهما للبناء الموضوعي. وتهدف الدراسة إلى إظهار إبداعية الروائيين في صياغة روايتيهما، والكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما. توصلت الدراسة إلى أن الروايتين تحملان في طياتهما أفكارا اجتماعية مختلفة وسمات حضارية عديدة، وأن ثمة أفكارا مشتركة بين الروائيين يتمثل حديثهم عن بروز البيئة الريفية، وثنائية الفكرة بين الجيلين؛ الآباء والأبناء، بينما الأفكار التي اختلف فيها: قضية السلطة الزوجية، وسلوكيات الرجل المتدين. نرى أن منيف تناول موضوع السلطة الزوجية؛ بينما عزيزي كشف موضوع العلاقات المبنية على المودة والاحترام بين الزوجين. وقد ظهر نقد منيف اللاذع لسوء سلوك الرجال المتدينين من خلال تشويهه لسمعتهم، في حين أشاد عزيزي بحسن سمعة المسلم الملتزم بالدين الإسلامي في روايته.

الكلمات المفتاحية: رواية "أم النذور"، رواية "Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)"، عبد الرحمن منيف، عزيزي الحاج عبد الله، الأفكار الاجتماعية، السمات الحضارية

Abstract

Abdul Rahman Munif and Azizi Haji Abdullah were famous in their Arab and Malay communities for the abundance of their creative works, which were well received, and most of them were printed in many editions and some of them were translated into many languages of the world. The two novelists shared the same attitudes towards society and its reality. Their opinions, which arouse the interest of society and occupy public opinion, were found in their literary works. Each of them played an important role in raising the literary prose genre, especially the art of the novel, and contributed to revealing the realities of Arab and Malay society through their creative writing in novels. Both of them became famous in the Arab countries, and in Malaysia in particular, and in Southeast Asia in general. In addition, their novels left deep traces in the hearts of readers and attracted the attention of critics alike. Based on this, the researchers decided to study and analyze this issue, so they decided to compare the two novels: "Umm al-Nuzur (The Mother of the Vows)" and "Seorang Tua di Kaki Gunung (The Old Man on the Mountainside)" through the authors' presentation of social ideas and cultural traits. The researchers rely on the approach of the American School of Comparative Literature, which focuses on the parallels and contrasts between the two novels. The study aims to show the creativity of the two novelists in formulating their novels and to reveal the points of agreement and differences between them. The study concluded that the two novels carry different social ideas and civilized features and there are common ideas among the novelists, who talk about the emergence of the rural environment and the duality of the idea between the two generations; parents and children, while the ideas on which they differ: the issue of marital authority, and the behaviour of religious men. We see that Munif dealt

[*] Nursafira Lubis Safian (corresponding author) (PhD), Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia. Email: nursafira@iium.edu.my.
[**] Mohamad Ahmed Al-Qudah (PhD), Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, University of Jordan. Email: mohamadq2002@yahoo.com.
[***] Mohamad Zulfazdlee Abul Hassan Ashari (PhD), Senior Lecturer, Research Centre for Arabic Language and Islamic Civilization, Faculty of Islamic Studies, Universiti Kebangsaan Malaysia. Email: mozaha@ukm.edu.my.

with the issue of marital authority; while Azizi revealed the topic of relationships based on affection and respect between spouses. Munif's stinging criticism of the misbehaviour of religious men appeared through his denigration, while Azizi praised the good reputation of a Muslim who adheres to the Islamic faith in his novel.

***Keywords**: "Umm al-Nuzur" Novel, "Seorang Tua di Kaki Gunung" Novel, Abd al-Rahman Munif, Azizi Haji Abdullah, Social Ideas, Cultural Traits*

مقدمة

كثرت الدراسات في عصرنا الراهن حول الرواية سواء أكانت ترتبط بمضمون الرواية ومحتواها أم تتعلق بالبنية الفنية المتمثلة في تتبّع الشخصيات الرئيسة والثانوية والأحداث الروائية والبيئتين الزمانية والمكانية وتوظيف اللغة والحوار وتبيين استخدام التقنيات السردية. ولم تقتصر عملية التحليل على الرواية في حد ذاتها، بل أقبل الباحثون المعاصرون على دراسة الرواية التي تهتمّ بأدبين أو أكثر ينتمي كل منهما إلى شعب مختلف. وقد لفت الأدب المقارن أنظار كثير من الأدباء والنقّاد كونه واحدًا من أهمّ الفروع في البحوث الأدبية والدراسات النقدية، ولم يساعد هذا النوع من الأدب في التقارب بين الشعوب العديدة والتفاهم بينهم فحسب، بل فتح مجالًا واسعًا بين أيدي الدارسين للاطلاع على سائر الآداب؛ لذا، انكشفت أفكار الشعوب المعنية وثقافاتهم، بل فضحت التشابهات أو الفوارق بين الأعمال الأدبية.[1]

وانطلاقًا من هذا الأمر، يحاول الباحثون تسليط الضوء على دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والملايوي، وعلى وجه التحديد الماليزي. اختار الباحثون الكاتبين اللذين يمثّلان كلاً من الشعب العربي والملايوي لكونهما معروفين لديهم فضلاً عن غزارة مصنّفاتهما الإبداعية التي لقيت إقبالاً حسنًا، بل طبعت جلّها في طبعات عديدة كما ترجمت بعضها إلى العديد من لغات العالم. وبجانب ذلك، شارك الروائيان المواقف نفسها تجاه المجتمع وحقيقته وسياساته، فتبيّنت آراؤهما التي تثير اهتمام المجتمع وتشغل الرأي العام في مؤلفاتهما الأدبية الثرية. وبناء على هذا، رأى الباحثون أن يتناولوا هذه القضية بالدراسة والتحليل، فارتأوا القيام بالدراسة المقارنة بين الأفكار الاجتماعية والسمات الحضارية الواردة في الروايتين، حتى تتضح بذلك أيضًا مدى أوجه التشابه والاختلاف بين الأدبين المختلفين. ويتكئ الباحثون على منهج المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن الذي يركّز على أوجه التوازي والتشابه والتباين،[2] بين الروايتين عند تناولهما للبناء الموضوعي، ومن ثم يقومون بالنقد والتحليل والتفسير والتعليل.

يعدّ عبد الرحمن منيف (29 مايو 1933م - 24 يناير 2004م) من الكتّاب أو الروائيين العرب الذين أبرزوا بأقلامهم قضايا المجتمع بشكل لافت في أعمالهم الكتابية، وهو روائي من مواليد الأردن، ويُعدّ منيف من الذين أسهموا في وصول الرواية العربية إلى مستوى من النضج الفني، رفعها إلى مرتبة الرواية العالمية، كما أنه امتلك ناصية اللغة العربية مما جعله يتمكن من دمج الثقافات العالمية مع الثقافة العربية.[3] وقد فاز منيف في عام 1998م بجائزة القاهرة بوصفه أفضل روائي عربي معاصر،[4] إضافة إلى نيله لجائزة سلطان بن علي العويس الثقافية للرواية عام 1989م، وهي بمثابة جائزة نوبل للآداب،[5] كما أنه نال جائزة تيسير سبّول الدولية.[6]

أما عزيزي الحاج عبد الله (4 أبريل 1942م - 21 أغسطس 2011م) فهو من الأدباء المحدثين بماليزيا الذين أدرجوا القضايا التي تعتني بالمجتمع الماليزي في عمله الأدبي، وهو روائي ماليزي معروف في مجتمعه. ويتميّز عزيزي بين الروائيين الماليزيين في تصوير الشؤون الاجتماعية وقضايا المجتمع الماليزي بصورة خلابة وساحرة. وفي بعض الأحيان، يستخدم أسلوبًا ساخرًا وتهكميًا استجابةً لما وقع حوله من أحداث ذات عناصر محلية؛ لذا يُعد عزيزي ناقدًا أدبيًا مستهزئًا من الواقع، شُجاعًا في إبداء وجهة نظره تجاه المشكلات التي حلت بالمجتمع المسلم الماليزي. ولعزيزي مئات القصص وعشرات الروايات التي تتمحور حول موضوعات اجتماعية شتى، حصلت جلّ مصنفاته على جوائز عديدة محلية وعالمية، بل اختارت وزارة الثقافة الماليزية من بين رواياته لتكون ضمن المادة الأدبية المقرّرة للطلبة الماليزيين الذين امتُحنوا لنيل الشهادة الثانوية الماليزية من سنة 1982 إلى 1985م، قبل التحاقهم بالجامعة. وبجانب ذلك، جعلت قناة Radio Televisyen Malaysia RTM – (المذياع الماليزي والتلفاز الماليزي) الفضائية إحدى رواياته الأخرى مسرحية عُرضت عبر القناة التلفزيونية في سنة 1983م، بل إن النصوص الشفوية التي تكلّم بها الممثّلون قد كتبها عزيزي نفسه.[7]

في ضوء ما ذكرناه، نجد هذين الروائيين من أهم الكتّاب المعاصرين، بل تجمعهما وحدة المرحلة الزمنية التي عاشا فيها (بدايات أربعينيات القرن الماضي حتى مطلع الألفية الثالثة) إلا أن الأول يقيم في العالم العربي والآخر في العالم الملايوي.

---

[1] هادي نظري منظم، وريحانة منصوري، الأدب المقارن: مدارسه ومجالات البحث فيه، التراث الأدبي، 2010، 2(8)، ص129.
[2] سامي يوسف أبو زيد، الأدب المقارن: المنهج والتطبيق، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2017، ص116.
[3] عدنان محمد علي المحادين، تيار الوعي في روايات عبد الرحمن منيف، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، مؤتة، الأردن، 2006، ص1.
[4] ينظر: يوسف القعيد، "عبد الرحمن منيف"، صحيفة الرأي: ثقافة، عمان، ع10739-A0، 25 نوفمبر 2008، ص34.
[5] لويس ميغيل كانيادا، ضد الزمن المتسرب. في: فيصل دراج وآخرون (محرر)، عبد الرحمن منيف: 2008، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2009، ص498.
[6] محمد القشعمي، ترحال الطائر النبيل، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ط1، 2013، ص100 و163.
[7] Salmiah Ismail (ed.) (2000), *Ensiklopedia Sastera Dunia*, Kuala Lumpur, Dewan Bahasa dan Pustaka, pp. 2221-2222.

وقد أدى كل واحد منهما دورًا مهمًا في رفع الشأن الأدبي النثري خاصةً فن الرواية، وأسهما في إظهار وقائع المجتمع العربي والملايوي عن طريق كتابتهما الإبداعية في الروايات. ذاع صيتهما في الدول العربية، وفي ماليزيا خاصة وفي جنوب شرق آسيا عامة، فضلاً عن أن رواياتهما تركت آثارا عميقة في قلوب القراء والمتلقين وجذبت اهتمام النقاد على حد سواء. وعلى الرغم من ذلك، لم نجد دراسة واحدة تحدثت عن المقارنة بين الروائيين سواء في العالم العربي أم بماليزيا، وكانت هذه الأمور من أهمّ الأسباب التي دفع الباحثين إلى دراسة البناء الموضوعي في الروايتين.

وعندما تتبّع الباحثون الدراسات المقارنة التي تناولت كلا الروائيين بشكل مباشر، عثروا على دراستين تمّت كتابتهما في سنة 2010م. أولهما: البحث المقدّم للحصول على درجة الدكتوراه في جامعة دمشق بعنوان: "الرواية السياسية بين الفارسية والعربية: أحمد محمود وعبد الرحمن منيف نموذجًا،"[8] للباحث يد الله أحمدي ملايري. وثانيهما: البحث المقدّم للحصول على درجة ماجستير في إحدى الجامعات بماليزيا الذي يتطرّق إلى الدراسة المقارنة بين زكريا تامر وعزيزي الحاج عبد الله في استخدام الصور البيانية في كل من القصص العربية والماليزية،[9] للباحث محمد يزيد عبد المجيد، وكان البحث مكتوبًا باللغة الماليزية. ومن الملاحظ، ألقت كلتا الدراستين الضوء على الروائيين اللذين يمثلان موضع الدراسة الحالية إلا أنهما دراستان مستقلتان، إذ تقارن بين الأدب العربي والفارسي حينًا، وبين الأدب العربي والماليزي حينًا آخر. وبجانب ذلك، وجد الباحثون أن هاتين الدراستين تعتمدان على المنهجين؛ التحليل والمقارنة أو منهج دراسة التوازيات الأدبية الذي يركز على نقاط التشابه والاختلاف بين الأعمال الأدبية من ناحية، وعلى العلاقة بين الأدب وميادين المعرفة الأخرى من ناحية أخرى.

وقد توصل الباحث يد الله أحمدي ملايري إلى أن الشخصيات المثقفة والشعبية والنسائية تعد من أهم الشخصيات في روايات الكاتبين المدروسين، مما يدل على نظرتهما الشمولية إلى المجتمع. ويبرز لنا أيضا من خلال هذا البحث اهتمام الكاتبين بثلاث من المقاربات التي يمكن أن يختارها المثقفون في علاقتهم بالسلطة والمجتمع، وهي الثورة والإصلاح والانتهازية عند دراسة علاقة هذه الشخصيات بالمكان الروائي.[10] أما الباحث محمد يزيد عبد المجيد فقد خلص في دراسته إلى أن هناك عدة تشابه بين الصور البيانية الواردة في الأدبين؛ العربي والملايوي، وما يفرق هذا الأمر بينهما هو المصطلح والحدث والتعبير المستخدم في كلتا اللغتين. وعلى سبيل المثال، يتوافق مفهوم التشبيه عند العرب مع *simile* عند الملايويين بينما يتطابق مفهوم الاستعارة المكنية مع *personafikasi* و*imetonimi*.[11]

ومن الملاحظ، أن هاتين الدراستين جيدتان بالغتان إلا أن ما تناوله الباحثان السابقان ليس من اعتناء الباحثِين على وجه مباشر. فالبحث الأول توقف على المقارنة بين أحمد محمود الفارسي وعبد الرحمن منيف العربي في كتابة الرواية السياسية، بينما تناول البحث الثاني المقارنة بين زكريا تامر العربي وعزيزي الحاج عبد الله الماليزي في استخدام الصور البيانية في قصصهما. أما الدراسة الحالية فتوجه عنايتها إلى إبراز المقارنة بين عبد الرحمن منيف وعزيزي الحاج عبد الله في توظيف الأفكار الاجتماعية والسمات الحضارية في روايتيهما، وهذا يوضح فرقًا كبيرًا بين الدراستين السابقتين وما ينوي الباحثون إضافته إلى هذه الدراسات المقارنة. يحاول الباحثون في هذه الدراسة أن يكشفوا عن أحوال المجتمع العربي والمجتمع الملايوي من خلال عرضهم للمحور المذكور، وهذا الصدد ما لم ينل حظه الوافر في مضمار الدراسات الأدبية، وهذه الفجوة سيسدها الباحثون في دراستهم الحالية.

رواية "أم النذور" لعبد الرحمن منيف

توطئة:

نشرت هذه الرواية لأول مرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، والمركز الثقافي العربي (الدار البيضاء)، عام 2005م؛ أي بعد سنة من انتقال الكاتب إلى جوار ربه، إلا أن تاريخ كتابتها يعود إلى عام 1970م، كما تومئ إليها الصفحة الأخيرة من الرواية جنبًا إلى جنب الصفحة المطوية من الغلاف الأمامي الذي ذكرت فيها زوجة الكاتب سعاد منيف أنها من أولى أعماله الإبداعية. لذا، تُعد هذه الرواية من باكورة نتاج منيف الروائي مع الأعمال الأخرى مثل "الأشجار واغتيال مرزوق"، و"قصة حب مجوسية"، و"حين تركنا الجسر"، و"شرق المتوسط". وبلغ عدد صفحات رواية "أم النذور" 224 صفحة، متوسطة الطول، وتحمل في طيّاتها 17 فصلاً، كما أنها لا تشتمل على عناوين فرعية أو جانبية فيها. وتعتمد الدراسة الحالية على طبعتها الثالثة المنشورة عام 2012م.

تشبه رواية "أم النذور" بروايات السير الذاتية للروائيين، وإن اكتفى كاتبها بسرد مرحلة طفولته فيها.[12] لم يلقِ الباحثون هذا الكلام على عواهنه بل اعتمدوا على السيرة التي كتبها الكاتب لمدينة عمان، الموسومة "سيرة مدينة: عمان في الأربعينات".[13] ومما يؤكد هذا الأمر، أنه قد ترعرع في عمان وتتلمذ فيها حتى المرحلة الثانوية، مثلما عُرضت الترجمة لحياته في الفصل

[8] يد الله أحمدي ملايري، الرواية السياسية بين الفارسية والعربية: أحمد محمود وعبد الرحمن منيف نموذجًا. أطروحة دكتوراه، 2010، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

[9] Mohamad Yazid Abdul Majid (2010), "Perbandingan Bahasa Kiasan Dalam Cerpen Arab dan Melayu," Master Dissertation, Universiti Malaya, Malaysia.

[10] يد الله أحمدي ملايري، الرواية السياسية بين الفارسية والعربية: أحمد محمود وعبد الرحمن منيف نموذجًا، ص254.

[11] Mohamad Yazid (2010), "Perbandingan Bahasa Kiasan Dalam Cerpen Arab dan Melayu," p. 124.

[12] يمنى العيد، المعرفة وكتابة السيرة عند عبد الرحمن منيف. في: فيصل دراج وآخرون (محرر)، **عبد الرحمن منيف: 2008**، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2009، ص212.

[13] عبد الرحمن منيف، **سيرة مدينة: عمان في الأربعينات**، ط5، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2013، ص51 وما فوقها.

الأول؛ حيث تلقى الكاتب تعلّم القرآن الكريم بشكل تقليدي في دار القرآن الكريم (الكتّاب)؛ قبل أن قُبل تلميذًا في المدرسة الابتدائية. ونرى أن الكاتب وصف لنا الموقف نفسه للشخصية الرئيسة (سامح) في رواية "أم النذور" بأنه طالب من طلاب دار القرآن الكريم قبل أن يتحول بعد ذلك إلى الدراسة النظامية.

وإلى جانب ذلك، ذكر الكاتب أنه أصغر إخوته، كما أنه جعل الشخصية الرئيسة في هذه الرواية على أنه أصغر الأبناء داخل الأسرة أيضًا، ومن ثم لا غرو إذا وجدنا مَن يدعي أن هذه الرواية تشبه رواية السيرة؛ نظرًا لنقطة التشابه المذكورة آنفًا، فضلاً عن بعض ما ورد في "سيرة مدينة: عمّان في الأربعينات" التي تحدّث فيها عن نفسه وحياته مذكور أيضًا في رواية "أم النذور".

وبجانب ذلك، لاحظنا في هذه الرواية أن "صوت الكاتب يتوحد (يتفق) مع صوت الطفل (سامح)، فنرى كيف أعاد منيف خلق فترة عصيبة من حياته قضاها في "مكاتب" الشيوخ الثلاثة (حافظ) و(السليم) و(عبد) الذين يجمعهم قاسم مشترك وهو القمع،"[14] وعلى الرغم من ذلك لا نستطيع القول إن هذه الرواية سيرة ذاتية حرفية عن طفولة الكاتب وإن تقاطعت السيرتان؛ أي سيرة الكاتب في الحياة وسيرة الطفل في الرواية؛ نظرًا؛ لأن كاتبها لم ينسبها إلى سيرته الذاتية بشكل صريح، كما أن زوجته أعلنت في تقديمها القصير لهذه الرواية بأنها ليست سيرة الكاتب الذاتية وإن تداخلت بعض الصور والرؤى فيها بحياته،[15] لذا لا يمكننا أن نعد رواية "أم النذور" رواية سيرة ذاتية للكاتب، بل نكتفي بالقول إن كاتبها استلهمها من ملامحه الطفولية لا غير.

ملخص الرواية:

تتمحور الرواية حول الطفل (سامح) الذي يواجه الحياة خارج بيته وعلى وجه التحديد في حي الشيخ مجيب. كان (سامح) يحدّث نفسه؛ إذ إنه متمرد على واقعه ومجتمعه، ويرفض الدراسة في الكتّاب لما ينتابه من فزع شديد؛ نظرًا لشدة (الشيخ زكي) الذي يقوم بتدريس الأطفال فيه مستخدمًا القضبان متباينة الأطوال، وكانت الأداة الأساسية التي اعتمد عليها في تلقين الأطفال القراءة والكتابة. وكان (الشيخ زكي) أيضًا يلجأ إلى ما لا يستطيع أن يقبله كمال العقل الإنساني؛ حيث يشتم هؤلاء الأطفال ويسبّهم بعبارات قاسية إذا لم يرق له كل ما يقدّمون له من استجابة، كما أنه يضرب هؤلاء الأطفال ضربًا مبرحًا بحجة التعليم.

وقد ترددت على لسان (الشيخ زكي) كلمات نابية مثل "الخنزير" و"الكلب" وغيرهما من الألفاظ المستهجنة التي وجهها إلى الأطفال؛ إذ كان يظن أن هذا الأسلوب فعال ومؤثر في تعليمهم وتربيتهم. ومن أجل ذلك، كره (سامح) الكتّاب وأراد أن يأخذ بالثأر من (الشيخ زكي) ويعارضه، ولكن ليس لهذا الطفل المسكين أي سبيل في ذلك بسبب ضعفه وصغر سنه. ومن الذين أغضبوه غير (الشيخ زكي): الشيخ صالح، والحاج درويش، وكذلك أبوه؛ إذ لم يقتنع بما فعل أبوه له حين أعطى حرية التصرف لمعلمه (الشيخ زكي) دون أن يعرف الوضع الحقيقي أثناء الدراسة، قائلاً لذلك المعلم قبل أن يبدأ الدرس: لك اللحم ولنا العظام! فأسعدت هذه العبارات شيخه وانفرجت أساريره، وبالعكس استغرب (سامح) منها.

أما "أم النذور" التي جاءت في عنوان الرواية فهي شجرة عريقة، لا يتجاوز طولها إنسان قصير القامة، وهي مغروسة منذ وقت طويل عند باب تكية الشيخ مجيب. سميت الشجرة بذلك الاسم؛ لأن شخصًا إذا نذر نذرًا أو تمنى شيئًا يتوجه إليها ويعلق عليها طربوشًا أو طاقية أو قطعة قماش من ملابسه وما شابه ذلك طلبًا لبركات الشيخ، وتعد هذه الشجرة مقدسة وهي – بناء على اعتقاد المجتمع – قادرة على تحقيق كل الآمال، لذا سعى إليها الجميع عندما أصابهم سوء أو شر أو مكروه دون أدنى شك،[16] لذا زخرت هذه الشجرة بالخرق الملونة والخيوط والأثواب البالية الممزقة، ما يدل على كثرة الأماني لديهم وشدة تعلقهم بها.

أما (سامح) فهو في بداية الأمر لجأ إلى "أم النذور" كما اعتمد عليها المجتمع حوله آملاً أن تتخلص معاناته؛ إذ كان يدعو على كل من (الشيخ زكي) و(الشيخ صالح) بالموت أو بالضرر إلا أنه بعد ذلك أدرك أن تلك الشجرة المبجّلة – في اعتقادهم – فاقدة الطاقة عديمة الجدوى، كما أنه يحس بأن سعيه قد ذهب سدى هباء منثورًا. رأى (سامح) أن "أم النذور" وبركات الشيخ والحجب وغيرها من الطقوس السائدة في حيه متخلفة ومضللة، بل عارية عن الصحة والمنطق. لذا، أعرب (سامح) عما في قلبه من تمرّد وعصيان نحو محيطه القاسي والقمع الذي يتمثل في سلطة (الشيخ زكي)، ولذلك لم يفارقه السؤال أو التساؤل منذ أن اصطحبه والده إلى الكتّاب.

وعندما اشتد قلق (سامح) وخوفه تجاه الكتّاب إثر سلوك معلمه السيء، صمم على عدم الذهاب إلى الكتّاب من جديد، فخطر بباله أن يعبر عما يختلج في صدره لخاله المتفتح ذهنه الذي كان يبعث أبناءه إلى المدرسة النظامية بدلاً من الكتّاب. فحاول خاله أن يقنع أم (سامح) التي جاءت إلى بيته باحثة عن ابنها (سامح) بأن الدراسة في المدرسة أفضل منها في الكتّاب إلا أنها عجزت عن الموافقة عليه؛ لعدم استطاعتها أن ترد القرار الذي اتخذه زوجها.

---

[14] يد الله أحمدي ملايري، المرجع السابق، ص92.

[15] عبد الرحمن منيف، **أم النذور**، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2012، الصفحة المطوية من الغلاف الأمامي.

[16] المرجع نفسه، ص11-13.

وبعد رجوع (سامح) وأمه من بيت خاله، رأى الكوابيس أثناء نومه إثر خوفه الشديد من الكتّاب وشيوخه، مما أدى إلى ارتفاع درجة حرارة جسمه في اليوم التالي. أما أمه فقد حسبته مصابًا بالعين الشريرة، لذا ألحت على أن تحضره إلى (الحاجة نعيمة) للاستشفاء. ولم يكن له سبيل في ذلك على الرغم من أنه رفضها إلا باتباع قولها. وبعد أيام عديدة، تعافى (سامح) من مرضه لا سيما بعد أن سمع من أمه أن أباه يسمح له بالدراسة في المدرسة مع أبناء خاله ولا داعي للذهاب إلى الكتّاب مع إخوته. وأخيرًا تحرر من رحلته القاسية، وأصبح أكثر تحمسًا للدراسة؛ نظرًا لانتصاره بالتخلص من العالم الأسود الذي كان يرافقه ويصاحبه.

جمالية الأفكار الاجتماعية والسمات الحضارية في رواية "أم النذور"[17]

تنبني هذه الدراسة على النظريتين في النقد الأدبي اللتين قدمهما الباحثان الكبيران: هاشم أونج،[18] وأونجكو ميمونة؛[19] إذ قالا إن المؤلفات الأدبية لا بد أن يتم تحليلها بصدق وأمانة وصحة، نظرا لأنها تعكس حقيقة المجتمع وحياتهم الاجتماعية وسماتهم الحضارية، وفي الوقت نفسه إنها تلعب دورا مهما لتنقد ذلك المجتمع، وهذا بطبيعة الحال سيفيدهم كثيرا لأنها تساهم في بناء حضارة الإنسان ورقي المجتمع.

1) السعي إلى محو الجهل والشعوذة

صور الكاتب في الرواية أن قاطني حي الشيخ مجيب بعضهم غير مثقفين، بل ثمة منهم من لا يستطيع القراءة والكتابة. ولم يصرح الكاتب بشكل مباشر أنهم أميون أو شبه أميين إلا أننا نستطيع أن نلمح ذلك عندما طلبت أم سامح من ابنها قراءة الرسائل لجيرانهم بعد أن تعلّم القراءة والكتابة.[20] وقد رسمهم الكاتب بأنهم يؤمنون بالسحر والشعوذة ويتكئون عليهما لدرجة أن مشكلاتهم لا يمكن حلها إلا بعد أن يذهبوا إلى المشعوذين، وكأنهم يتوسلون بهؤلاء المشعوذين والسحرة دون التضرع والابتهال إلى الله سبحانه وتعالى.

وانطلاقًا من هذا الأمر، نرى أن الكاتب قدم من أول صفحات الرواية إلى نهايتها الخرافات السائدة في حي الشيخ مجيب التي تتمثل في بركات الشجرة المقدسة "أم النذور"، وبركات (الشيخ مجيب) الذي يلبي كل الأماني والحاجات المقدمة إليه بناء على اعتقاد المجتمع، وبركات الشيوخ الذين يأتون بعده، وكذلك بركات (الحاجة نعيمة) التي تكتب الرقى أو تحضر الأدوية المرة كالعلقم، وقد وصف لنا الكاتب أيضًا مدى شدة اعتماد مجتمع حي الشيخ مجيب على هذه البركات كلها مبرزًا قداسة كل واحدة منها في أكبر مساحة من صفحات الرواية. ونرى أنهم جعلوها موضع ثقتهم الرئيسة، بل يحسون بأنهم لا يقدرون الحياة بدونها، وكأنها جزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وأشار إليه الكاتب على لسان الراوي الآتي: "كيف ستكون الحياة إذا أصبحنا ذات يوم ولم نجد الحاج درويش؟ أي ولي جديد يمكن أن تخلقه الحياة لكي يقف إلى جانب الشيخ مجيب وأم النذور؟"[21].
ومن ناحية أخرى، تبلور لجوء أهل القرية بشدة إلى بركات "أم النذور" حين تُعلق عليها الخرق الملونة الكثيرة لدرجة أنها تسيء الناظرين؛ إشارة إلى كثرة الآمال المقدمة إليها، كما ذكر الكاتب على لسان الراوي: "وتجاوز (سامح) الطاحونة، وما كاد يقترب من أشجار الدلب حتى شعر بانقباض، لأن أم النذور لاحت له، بدت له قصيرة ناتئة في هذا الفضاء الواسع العاري، وكأنها شيء زائد، تمامًا مثل الدمل... لو كان إلى جانبها أشجار أخرى لظهرت شجرة حقيقية، أما الآن والخرق الملونة البالية تتدلى منها دون نظام فإنها تبدو كريهة سخيفة!"،[22] وقال الكاتب أيضًا: "وتوقفت نظراته على أم النذور. بدت له قبيحة لدرجة شعر أنه يكرهها. قال لنفسه: هذه ليست شجرة. إنها بقايا خرق قذرة ولا شيء غير ذلك. وسأل نفسه بلهجة ساخرة: هل كانت هذه المزبلة شجرة في يوم من الأيام؟ أين هي الأوراق الخضراء؟ أين الثمار التي تتحدث عنها أمه؟".[23]

وإلى جانب ذلك، صور الكاتب أن أي شخص في حي الشيخ مجيب إذا أصابه مرض أو أحس بهموم، تسرع أعضاء أسرته إلى ربط الخرق بتلك الشجرة العريقة وتنذر للشيخ مجيب، متمنين أن يشفى المريض وتزول الغموم، كما أن تلك الشجرة بحسب اعتقادهم قادرة على إعادة المسافرين، وكشف المسروقات، وإزالة الهموم، وإعانة المرأة العاقر على الولادة، وحل المشاكل الأسرية، وغيرها من الظروف الصعبة التي واجهها المجتمع كما وصف لنا الكاتب على لسان الراوي في النص الروائي الآتي: "أم حسن ولدت ولدين بعد سبع سنوات عندما أخلصت نيتها لشيخ وقدمت النذر، وفاطمة الخرساء أصبحت تنطق ببعض الكلمات وتفهم كل ما يقال لها منذ أن أكلت لحم الهدهد الذي أعطته لها الحاجة نعيمة، وبعد أن بيتته ليلة كاملة عند أم النذور"،[24] وغيرها من الخزعبلات المتكررة. ومن هنا نرى أن الخرافات والأوهام التي يتشبث بها المجتمع يعتقد أنها صحيحة؛ ولكنها حقيقة تعود بهم إلى الوراء حيث التخلف والجهل.

---

[17] بعض النقاط في هذا الموضوع منشورة في مجلة الدراسات اللغوية والأدبية. ولمزيد من المعلومات، ينظر: نور سفيرة أحمد سفيان، ومحمد أحمد القضاة، "قضايا موضوعية في "أم النذور" للروائي عبد الرحمن منيف: دراسة تحليلية نقدية"، **مجلة الدراسات اللغوية والأدبية**، 2017، مج8، ع1، ص159-183.

[18] Hashim Awang (1988), *Kritikan Kesusasteraan: Teori dan Penulisan*, Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka.

[19] Ungku Maimunah Mohd. Tahir (2006), "Pemahaman dan Penerapan Sosiologi Sastera dalam Sastera Melayu Moden," *Akademika*, Vol. 69, p. 7.

[20] عبد الرحمن منيف، **أم النذور**، ص29.

[21] المرجع نفسه، ص18.

[22] المرجع نفسه، ص143.

[23] المرجع نفسه، ص134.

[24] المرجع نفسه، ص13.

وقد عرض لنا الكاتب أيضًا جهل الذين يؤمنون بالشعوذة والسحر؛ حيث إن هذا الجهل شجع هؤلاء المشعوذين على الاستمرار بعملهم وخداع واستغلال الناس، كما نلاحظ ذلك في الحوار الذي يجري بين (الحاجة نعيمة) والمرأة التي ذهبت إليها، إذ قالت لها الحاجة: "إنها تكلف كثيرًا... وردت المرأة دون أن تفكر: الذي تريدينه يا حاجة، أنت بنت أسيادنا، والذي تأمرين به على العين والرأس!"،[25] وكذلك، نلاحظ (أم سامح) التي طلبت من ابنيها (سامي) و(ماجد) بوضع خرقة على "أم النذور"، كما أنها نذرت للشيخ مجيب خروفًا حينما أصيب (سامح) بمرض، قبل أن تقصد إلى المشعوذة (الحاجة نعيمة) من أجل الحصول على الحجاب لكي يحرس ابنها (سامح) من العين الشريرة. ومن ثم، نرى من خلال هذا الأمر العقيدة الراسخة عندها بقدرة كل من "أم النذور"، و(الشيخ مجيب)، و(الحاجة نعيمة)، فبدلاً من إحضار (سامح) إلى الطبيب لجأت إليهم في معالجته. وهكذا نرى شخصية (أم سامح)، وهي نموذج حيوي تمثل مجتمعها السخيف والجاهل الذي يسلم بكل ضميره إلى مثل هذه الشعوذات.

ومن وجهة نظر الباحثين، أن الكاتب عندما عرض لنا آفات الجهل والتخلف والشعوذة عند المجتمع العربي في روايته، وهو حقيقة حاول أن ينقد سلوكهم بشكل غير مباشر. نرى أن الكاتب يسعى إلى محو هذه الآفات من خلال شخصية (سامح) التي رسمها في روايته، حيث أنكر ما قام به مجتمعه إنكارا شديدا. فالكاتب في روايته أدرك أن هذه الآفات إذا لم يمنع انتشارها في المجتمع، سوف تؤدي بهم إلى التخلف العقلي، بل تعيق تقدم البلاد ونمو حضارتها، لذا نرى أن الكاتب في روايته أصر على إزالة هذه الآفات من المجتمع.

2) تغلب فكرة الحداثيين المنفتحين ذهنيا على فكرة التقليديين

ظهر في الرواية الصراع بين التقليد والحداثة بوضوح؛ حيث إن الكاتب وصف لنا بشكل غير مباشر نمطين من الناس في حي الشيخ مجيب؛ أولهما أنصار التعليم في الكتّاب، ومن أبرزهم (الحاج حسيب) وهو أبو (سامح) وأمه وغيرهما من الناس الذين يؤمنون بقدسية الشيوخ وبركاتهم، لذا لم يبالوا بما فعل الشيوخ تجاه أبنائهم، على الرغم من أن هؤلاء الشيوخ يرحّبون أولادهم بالأعواد متفاوتة الطول بسبب لا مبرر له، بل ثمة من يعتقدون بأن عصيّ الشيوخ من الجنة.[26] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء الناس يعطون الشيوخ حرية كاملة في التصرف في مصائر أبنائهم، بقولهم الصريح للشيوخ: "اللحم لك والعظام لنا".[27]

وثانيهما الذي يمثل الفريق الآخر من قاطني حي الشيخ مجيب فهم من مؤيدي التعليم في المدرسة النظامية، ومن بينهم خال (سامح) وعمته وغيرهما من المجتمع المتحررين من حبال الماضي والمنفتحين ذهنيًا. ولم يكن خال (سامح) يحب طريقة شيوخ الكتّاب في التربية بالضرب، لذا لم يبعث أبناءه إلى الكتّاب بل آثر أن يتلقوا العلم في المدرسة. ونستطيع أن نرى هذا الصراع بين الفريقين الاثنين عبر الحوار الآتي الذي يجري بين أم (سامح) وعمته، وقالت أمه:

- "يبقى الكتّاب أحسن!
- لا مدارس الحكومة أحسن.
- طويلة يا أم رمضان، مدارس الحكومة تخلص الروح ولا تخلص.
- يا أختي الشيخ ليس له مستقبل!
- لكن كم سنة يجب أن ننتظر حتى ينتهي الأولاد من مدارس الحكومة، وبعد لحظات أضافت: يمكن أكثر من عشر سنوات!
- ومع ذلك تبقى أفضل!
- نفس الشيء.
- ليس نفس الشيء، الكتّاب زريبة للأولاد، وبعد ذلك ينتهون وهم لا يعرفون شيئًا".[28]

ومن الملاحظ، أن ثمة تعارضًا فكريًا بين أم (سامح) وعمته؛ إذ إن كلاً منهما حاولت أن تثبت صحة ما قالت للأخرى. رأت أم (سامح) أن الكتّاب أفضل من المدرسة لاختصار المدة الزمنية التي يقضيها الأطفال فيه على الرغم من الأساليب القاسية المستخدمة من طرف الشيوخ، بينما حسِبت عمته أن المدرسة أحسن من الكتّاب مهما تستغرق الدراسة فيها وقتًا كثيرًا، للاستفادة القصوى التي توفر لهؤلاء الأطفال.

وإلى جانب ذلك، صور لنا الكاتب هذا الصراع في موضع آخر من صفحات الرواية، وذلك في الحوار الآتي الذي يجري بين أم (سامح) وخاله، وقالت أمه:

- "يا أخي، قلت للحاج مائة مرة، لكن يصر على أن الكتّاب أحسن، يقول إن أباه وجده لم يعرفوا سوى الكتّاب...
- الدنيا الآن غير أيام أبيه وجده، الدنيا الآن تغيرت، وسوف تتغير أكثر، وعلى البشر أن يتغيروا... يا أختي اتركي الحاج على مزاجه، إنه يمثل القديم الذي ينتهي يومًا بعد آخر...
- يقول الحاج إن المدارس تعلم الكفر والإلحاد!

[25] المرجع نفسه، ص210.
[26] المرجع نفسه، ص131، ص152.
[27] المرجع نفسه، ص24.
[28] المرجع نفسه، ص83.

- لا... هذا ليس صحيحًا، في المدارس يتعلمون الدين والتاريخ أكثر من الكتّاب ألف مرة!".[29]

لاحظنا من النص الحواري السابق أن أبا سامح (الحاج حسيب) الماضوي التفكير والمتحجر الذهن الذي يمثل التقليديين، قد رفض أن يرسل أبناءه إلى المدرسة؛ لأنها في اعتقاده مختلفة تمامًا عن الكتّاب؛ إذ كانت الدراسة فيه أفضل منها في المدرسة ولكن ليس لديه أي تبرير مقنع يؤكد موقفه سوى ما تقدّم عليه أبوه وجده، إلى جانب هوسه أن المدرسة تعلم الكفر والإلحاد. أما خال (سامح) فهو مغاير تمامًا لأبيه؛ إذ لم يكن من أنصار التعليم في الكتّاب، بل أكّد أن المدرسة تعلم الأطفال الدين والتاريخ أكثر. ومن هنا نرى عبر شخصية خال (سامح) محاولة الكاتب في إظهار موقفه من التعليم في الكتّاب الذي يرتكز على العنف والقسوة وعدم قبول رأي مخالف، مقارنة بالتعليم في المدرسة، الذي يميل إليه.

وانطلاقًا من هذا الأمر، لاحظنا أن الكاتب حاول أن يدعم موقفه هذا بسرد ما قام به أبناء خال (سامح) الذين يدرسون في المدرسة؛ إذ صور الكاتب أنهم مشغولون بالأوراق عندما جاء (سامح) إلى بيتهم، وكانوا قد بدأوا يحضرون نماذج ورقية. وبعد أوقات غير طويلة، تمت عملية الصنع وظهر تمثال المركب من الورق بشكل رائع وتصميم دقيق، بل قد صنعوا مثل هذا المركب قبل ذلك مرات كثيرة، كما ذكر خال (سامح) في الحوار الآتي الذي يجري بينه وبين أبنائه، وقال خال (سامح):

- "المركب مرة أخرى. لقد صنعتم هذا المركب مائة مرة، أليس عندكم غيره؟
- ولكنه كبير هذه المرة. وقد صنعنا له قاعدة من الكرتون.
- وأين ستبحر فيه؟ في البحر، سأذهب إلى أمريكا؟
- يمكن أن نكبره عدة مرات، وبعد ذلك يصبح مركبًا حقيقيًا!".[30]

ومن الملاحظ، أن الكاتب لم يكتف بالقول إن المدرسة أفضل من الكتّاب، بل أتى بما يسند كلامه حيث نرى أن أبناء خال (سامح) فرحون في صنع المركب الكبير من الورق والكرتون، وكانوا مبدعين ومتعاونين مع بعضهم بعضًا في إكماله دون أن يطلبوا أيدي الآخرين. ومن هنا نرى أنهم يتعلمون باللعب؛ حيث إنهم يلعبون ويتعلمون، وهذا بطبيعة الحال يحقق لهم الكثير من الفوائد.

ومن أجل ذلك، تساءل (سامح) عن سبب إرسال (الشيخ زكي) ابنه (عبد الرزاق) إلى مدرسة الحكومة وليس إلى الكتّاب إذا كانت الدراسة في الكتّاب أفضل منها في المدرسة كما أكدها أبوه (الحاج حسيب)، واستفسر بعد ذلك من خالته إلا أنها لم تجد أي إجابة مقنعة.[31] وكذلك أمه التي عجزت عن إتيان لأي تبرير عندما سئلت عن عدم وضع (الشيخ زكي) ابنه في الكتّاب مهما أقرت أنه أفضل من المدرسة. أما (سامح) فهو تصور أن (الشيخ زكي) رجل غير قوي، وإلا لأجبر ابنه على التعلم في الكتّاب ولضربه مثلما ضرب الأطفال الذين يدرسون في الكتّاب.[32]

ومن الملاحظ، أن الصراع الفكري في المجتمع أمر لا مفر منه، وهذا ما نستطيع أن نجده أيضا في بلدنا ماليزيا، حيث تتعارض الفكرة بين الجيلين: الآباء والشباب (*Kaum Tua dan Kaum Muda*) ما بين الثلاثينات والأربعينات. وحسب ما تتبعنا الرواية المدروسة، نرى أن الكاتب حاول أن يسخر من الفكرة التي أتى بها التقليديون من خلال الشخصيات المرتسمة في روايته؛ لأنه عرف أن هذه الفكرة لا أساس لها، وهي فعلا تفسد مستقبل الأفراد. فالكاتب على لسان شخصية خال (سامح) رفض الفكرة التقليدية، بل رأى أن التجديد الفكري الذي يفيد المجتمع أمر يستحق القبول، كما نرى ذلك في تاريخ الحضارات السابقة؛ إذ ثمة مجتمع مَن كانوا في قديم الزمن يُظهر موافقتهم تجاه الآراء التجديدية، فتحققت إنجازاتهم تحققا كبيرا.[33] ومن هنا، نرى أن الانفتاح الذهني نحو قبول الفكر الحداثي عامل رئيس في تقدم المجتمع وازدهار الدولة، وستنهض بنهوضهم وستنهار بانهيارهم.

3) بروز سلطة الزوج:

ظهرت السلطة الزوجية في الرواية؛ حيث ذكر الكاتب هذا الأمر بشكل غير مباشر في عدة مواضع. نرى أن أم (سامح) أذعنت لأمر زوجها (الحاج حسيب) في كل الأمور وكأن ليس لديها أي فرصة للتدخل فيها أو للتعبير عن رأيها، ومن ثم، لا غرو إذا وجدنا أن القرار الذي له علاقة بالشؤون الأسرية أو المنزلية اتخذه (الحاج حسيب) وحده دون الأخذ بآراء الآخرين حتى برأي زوجته. وينطبق هذا الكلام على مصير (ماجد) و(سامي)، هما أخوا (سامح) اللذان سجل لهما أبوهما للدراسة في الكتّاب منذ الصغر، قبل أن ينهجا على منوال أبيهما الذي يشتغل في دكانه. والحوار الآتي الذي يجري بين أم (سامح) وعمته يشهد ذلك، وسألت عمته:

- "كلهم مع أبيهم... يعملون في الدكان؟
- أبو ماجد هذا رأيه... والرأي رأيه!".[34]

أما الحوار الآخر الذي يصوّر استبداد (الحاج حسيب) فهو الذي يجري بين أم (سامح) وخاله، وقالت أمه:

---

[29] المرجع نفسه، ص167.
[30] المرجع نفسه، ص163.
[31] المرجع نفسه، ص153.
[32] المرجع نفسه، ص84.
[33] ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2010، ج1، ص99.
[34] عبد الرحمن منيف، **أم النذور**، ص84.

- "يا أخي، قلت للحاج مائة مرة، لكن يصر على أن الكتّاب أحسن، يقول إن أباه وجده لم يعرفوا سوى الكتّاب. وإن الأولاد مصيرهم أن يعملوا في نفس الصنعة. المدرسة مضيعة للوقت. هذا رأيه!".[35]

وبعد ما سمعت أم (سامح) المبررات التي ذكرها خاله، بادرت إلى الإجابة قائلة: "تريد أن تغير الحاج؟ هذا مستحيل!".[36] ثم، واصلت الكلام بعد أن تستسلم من الاستجابة: "أنا لا أعرف... هذا رأيه!... ليس لي علاقة، كل شيء بيده!".[37] ومن الملاحظ، أن أم (سامح) انقادت لأمر زوجها دون أن تتدخل فيه، ومهما كانت تحاول أن تبدي رأيها إلا أنه لم يرغب في الاستماع إليها، وكأنه في هذا المقام أراد أن يستمع إليه الآخرون ولكنه مع ذلك لم يقبل رأيًا آخر أو مخالفًا.

والمثال الآخر الذي يؤكد هذا الشأن ما ورد على لسان خالة (سامح) عبر المونولوج وهي تخاطب نفسها: "... تدرك (خالته) بوضوح أن المدرسة هي المكان المناسب للصغار. قالت ذلك لأمه مائة مرة، لكن أمه لا تسمع. تصر أن يذهب أولادها إلى الكتّاب. ليس هذا رأيها... هكذا يريد الحاج...".[38] ومن هنا نرى بروز السلطة الزوجية في الرواية، وكأن دور الزوجة في الأسرة قاصر على الأعمال المنزلية لا غير، ومن ثم، لا عجب إذا وجدنا أن الكاتب قد ذكر على لسان (سامح) أن "أمه تخاف من كل شيء، من نظرات أبيه..."؛[39] لأنها تمثل مجتمعها الذي يتشبث بالعادات السائدة في حيهم حيث إن الزوج على ما يلوح مسيطرًا في كل أمر، بينما زوجته مغلوبة على أمره.

ومن ناحية أخرى، عرض الكاتب ما يشبه الحفلة التي تعد لأبي (سامح) بعد رجوعه من العمل قبل أن يصل البيت مع موكبه بدقائق، وهو كما ذكر الكاتب على لسان (سامح) الآتي: "نصب الفراش لأبي في الباحة الداخلية، قريبًا من البركة، وتحت شجرة الليمون، وعلى الفراش صفت وسائد كثيرة، ثم ملئت الجرار، ووضعت على طرف البركة وسكب عليها الماء من الخارج، وإلى جانبها وضع صحن من التين مغطى بقماش رقيق... ثلاث أو أربع نسوة يتراكضن في كل الأنحاء بشيء من الاضطراب الممزوج بالانتظار الفرح...".[40]

ثم، واصل الكاتب سرده الذي أجراه على لسان (سامح) عبر الحوار الداخلي: "تسارع أمي لتخلع عنه سترته... يعطيها ظهره ويداه ممدودتان... ثم يجلس على طرف الفراش، ورجلاه على الأرض، وتركض أختي (سارة) لتنزع له حذاءه. أما (وجدان) فإنها تحضر الإبريق والطشت، (رضية) تحمل المنشفة وتصب على يديه الماء...".[41] لاحظنا من النص الروائي السابق الطقوس التي جهزها أعضاء أسرة (الحاج حسيب) له أثناء وصوله إلى البيت، وكأنه زعيم محترم ذو نفوذ عظيم وسطوة كبيرة، نرى أنهم استقبلوه استقبالاً حارًا إلا أن (سامح) لم يكن مرتاحًا بالنظر إلى مثل هذه الأمور، كما قال مصرحًا يحاور نفسه: "إن المراسم التي تهيأ لأبي تشعرني بالانزعاج...".[42]

لاحظ الباحثون من خلال الرواية المدروسة أن الكاتب ينقد الأعراف السائدة التي وظفها المجتمع العربي حينذاك، إذ اعترض على اضطهاد المرأة وإعلاء سلطة الزوج. أبدى الكاتب رأيه على لسان شخصية رئيسة (سامح) أن الزوجة لها حق في التعبير عن آرائها وإظهار ما تؤثره مثل الرجل تماما؛ لأنها أيضا تلعب دورا كبيرا في بناء الأسرة. فالأسرة دون أدنى شك تعد نواة المجتمع وحجر الأساس وركيزته الأساسية، ولها دور مهم في تربية الأجيال وإعدادهم ليكونوا نافعين لدينهم ووطنهم ومجتمعهم، ومن ثم تبنى الحضارة وتترقى على مبدأ الاحترام والتقدير بين كل فرد في الأسرة.

4) النقد اللاذع لسوء سلوك الرجال المتدينين:

لاحظ الباحثون أن الكاتب إلى حد ما، حاول تشويه سمعة الرجال المتدينين والإساءة إليها وعلى وجه التحديد الشيوخ الذين يقومون بتلقين الأطفال القراءة والكتابة في الكتّاب. وقد عاب الكاتب على الشيوخ وطرق تعليمهم للأطفال، وأظهر تصرفاتهم السيئة بشكل أكبر في غير موضع من صفحات الرواية، فتبينت تصرفاتهم الشنيعة وأقوالهم القاسية نحو الأطفال، وليس أدل على ذلك مما فعل (الشيخ زكي)؛ حيث إنه كان يضربهم بعنف، وينعتهم بالخنازير والكلاب والحمر، ويلقي عليهم شتى اللعنات بسبب غير مبرر، ما يجعلنا نحس بالكره تجاهه. ومن أمثلة هذه اللعنات: "الله يخزيك يا مهبول يا ذيل الأفعى"،[43] و"يا خنزير تخطئ بكلام الله؟"،[44] و"هذه العصا تعلم الحمار!" ،[45] و"الله يقصف عمرك، الله يغورك"،[46] و"احك، داهية تسمك"،[47] وغيرها من الألفاظ النابية المثيرة للاشمئزاز.

[35] المرجع نفسه، ص167.
[36] المرجع نفسه والصفحة.
[37] المرجع نفسه، ص168.
[38] المرجع نفسه، ص153.
[39] المرجع نفسه، ص196.
[40] المرجع نفسه، ص85.
[41] المرجع نفسه، ص86.
[42] المرجع نفسه والصفحة.
[43] المرجع نفسه، ص43.
[44] المرجع نفسه، ص44.
[45] المرجع نفسه، ص45.
[46] المرجع نفسه، 123.
[47] المرجع نفسه، ص42.

أما الأمثلة التي تدل على سلوكه المشين فمنها ما ورد على لسان الراوي الآتي: "إذ ما كاد يقترب تلك الخطوة اللعينة ويصبح الولد قريبًا منه، ودون أن ينظر إليه أو يسأله، هوى على وجهه براحة يده. سقطت اليد ثقيلة مدوية على الخد الصغير. كان صوتها مثل ارتطام باب مفتوح تضربه ريح مفاجئة، مثل سقوط صفيحة فارغة، مثل الموت"،[48] وقال الراوي أيضًا: "وخطا (الشيخ زكي) خطوة ثم بحقد يائس أمسك بأذن الولد الثاني. وسمعنا الصوت الصغير. كان صوته طويلاً متألما كأنه مواء قط".[49]

إن الكاتب قد حاول الإساءة إلى بعض الجوانب النفسية للشيوخ حينما رسمها بأنهم يعلمون الأطفال في الكتّاب من أجل الأجرة لا غير كما جاء على لسان خالة (سامح) عبر المونولوج الداخلي وهي تحاور نفسها: "كيف يتعلم الأولاد في الكتّاب.. والكتّاب ما هو؟ وترآى لها مكانًا مظلمًا وبشعًا. وتصورت الشيخ رجلاً قاسيًا يضرب الأولاد، ولا يعلمهم شيئًا. ليس هذا فقط، وإنما يحتفظ بهم أطول فترة ممكنة كي يدفعوا له الخميسية".[50]

وإلى جانب ذلك، لاحظنا أيضًا محاولة الكاتب لتشويه صيت (الشيخ زكي)، وذلك عندما صور لنا طريقته في طلب الأجرة من أحد الأطفال بأسلوب غير مؤدب؛ إذ قال له: "وأنت يا نعمان ابن أحمد آغا، قل لأبيك الخميسية في وقتها أو ليفتش لك عن شغلة!".[51] ومن هنا نرى أن (الشيخ زكي) طلب من (نعمان) ألا يتأخر في دفع الأجرة وإلا سيوقفه (الشيخ) من الدراسة في الكتّاب.

وقد لجأ (الشيخ) إلى الأسلوب الجارح، ما يشير إلى عدم تحليه بالأخلاق الكريمة مع أنه يعلم الأولاد الدروس الدينية والتعاليم القرآنية في الكتّاب، وهو من المفروض أن يتصف بالصفاء النفسي والصلاح الأخلاقي، وأن يكون نموذجًا مثاليًا يقتدى به قولاً وفعلاً كما أرشده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن بالعكس يبدو أن الكاتب إلى حد ما، شوه سمعة (الشيخ) بما وصفه بصفات لا تليق به، وربما أراد الكاتب من خلال ذلك إبراز ظروف الكتّاب القاسية ومواقفه المهولة التي لا يتحمل عذابها وألمها.

ومن ناحية أخرى، تبلور النقد اللاذع والسخرية الموجعة حينما أتى الكاتب بالقول الآتي وهو على لسان خال (سامح) الذي لم يكن يحب طريقة شيخ الكتّاب في التعليم والتربية بالضرب: "أنا أعرف هذا النوع من الناس، يقولون إنهم لا يفعلون شيئًا إلا من أجل رضى الرب، لكنهم لا يرضون إلا أنفسهم، لا يرضون إلا هذه الكروش المليئة بالوخم والطمع!".[52] لاحظنا من القول السابق أن الكاتب قد سخر من الشيوخ خاصة والرجال المتدينين عامة بقوله الصريح إنهم يتميزون بالأنانية ويستغلون الدين لأنفسهم ومصالحهم، ولتحقيق سعادتهم فحسب. وقد ترجع إشارة الكاتب إلى هذا النوع من الكلام إلى رغبته الجامحة في إبراز شخصياتهم، وكشف القناع الذي يغطي تصرفاتهم الحقيقية وفضحها لنا في وضعنا الراهن.

رواية "Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)" لعزيزي الحاج عبد الله

توطئة:

نشرت هذه الرواية لأول مرة عن مجمع اللغة والأدب الماليزي (Dewan Bahasa dan Pustaka) عام 1982م، أي تقريبًا بعد عشر سنوات من التحاق عزيزي في الرابطة الأدبية. وهي تكون في 165 صفحة، متوسطة الطول، وتحمل في طياتها 16 فصلاً، كما أنها خالية من عناوين فرعية أو جانبية فيها. وتمت إعادة نشر هذه الرواية – حسب ما اطلع الباحثون على المعلومات المتعلقة بها – عام 1984م مرتين – بطبعة ثانية وثالثة، وفي 1986م طبعت طبعة رابعة، وكذلك في 2001م نشرت هذه الرواية من جديد وعدد صفحاتها 215 صفحة وفيها 16 فصلاً.[53] ونشرت هذه الرواية بعد ذلك عن دار نشر أخرى (Creative Enterprise) في عام 1995م وعدد صفحاتها 224 صفحة وفيها 16 فصلاً. وتعتمد الدراسة الحالية على طبعة عام 1995م.

أصبح صيت عزيزي الحاج عبد الله أكثر ذيوعًا بماليزيا بعد إصدار هذه الرواية، وذلك من جراء أنها فازت بالمركز الثاني (علمًا بأن الجائزة الأولى غير ممنوحة) في مسابقة التأليف الروائي التي نظمتها جمعية الكتّاب الماليزيين ومؤسسة صباح (Sabah – Gabungan Persatuan Penulis Nasional /Yayasan GAPENA) عام 1981م.[54] ومن ناحية أخرى، اختارت وزارة الإعلام الماليزية هذه الرواية لتكون ضمن النصوص التمثيلية التي تم عرضها في قناة تلفزيونية، كما أن وزارة الثقافة الماليزية قررت هذه الرواية لتكون ضمن المادة الأدبية لطلبة المرحلة الثانوية من سنة 1982 إلى 1985م.

[48] المرجع نفسه، ص122.
[49] المرجع نفسه والصفحة.
[50] المرجع نفسه، ص153.
[51] المرجع نفسه، ص36.
[52] المرجع نفسه، ص156.
[53] Azizi Haji Abdullah (2021), "Seorang Tua di Kaki Gunung," retrieved on 25 April 2021, https://www.goodreads.com/book/show/6442189-seorang-tua-di-kaki-gunung.
[54] Salmiah (2000), *Ensiklopedia Sastera Dunia*, p. 2223.

وبما أن هذه الرواية تستولي على عقول الجمهور وتجذب انتباههم، تُرجمت لاحقًا إلى لغات عدة؛ كاللغة الإنجليزية واللغة اليابانية، ووُزعت في اليابان على المكتبات العامة ومكتبات الجامعات.[55]

صرح عزيزي أن هذه الرواية تطورت من قصته القصيرة الموسومة "Cengai Batu (شانجاي باتو – نوع من أنواع الشجر وهو **مكتوب** باللهجة القدحية)"، التي نشرت عام 1981م في مجلة ديوان مشركات (Dewan Masyarakat). وقد تطورت هذه القصة في الأصل من الخبر المنشور في إحدى الصحف المحلية. وكانت الأنباء تتلخص حول زلزال عنيف وقع في أفغانستان؛ حيث أدى إلى موت مئات القتلى والجرحى، وأحدث دمارًا كبيرًا فيها. وثمة رجل مصاب في هذا الحدث المأساوي، سقط عماد البناية الضخم على خصره فعانى أشد المعاناة لدرجة أنه طلب من زوجته أن تقطع فخذه باستخدام المنشار نتيجة لعدم استطاعته أن يتحمل ذلك العذاب وعدم تمكنه من أن يخرج من مكانه المحاصر. وكانت هذه الحادثة المؤسفة قد أثرت في عزيزي تأثيرًا شديدًا، فبادر إلى صياغة القصة القصيرة بناء عليها، وطورها فيما بعد لتكون رواية كاملة.[56]

وعندما نتصفح الرواية، وجدنا أنها تذكرنا برواية "Ranjau Sepanjang Jalan (تقلبات الدهر)" للكاتب شحنون أحمد نظرًا لتوافق البيئة المكانية المصورة بين الروايتين. رسم عزيزي بيئة الريف الصافية في روايته كما قام به شحنون في روايته، إلا أن شحنون ركز على الحياة التي مر بها المجتمع القروي الذي يعمل فلاحًا من أجل الحصول على لقمة العيش وسد حاجاته، بينما أبرز عزيزي حياة العجوز الريفي الذي يتمسك بالتراث الملايوي التقليدي ويحاول الحفاظ عليه ومراعاته بقدر المستطاع حتى على آخر رمق لديه.[57]

ملخص الرواية:

تتمحور الرواية حول عجوز فقير (تؤيا) الذي يسكن مع زوجته (بسه) في كوخ؛ أي بيت بسيط صغير،[58] وهو يقع على سفح الجبل المسمى جونونق بونقسو (Gunung Bongsu). يعتمد (تؤيا) وغيره من مجتمع الريف على محاصيل الغابة لسد حاجاتهم المعاشية. رُزق (تؤيا) بابن واحد اسمه (فكري) وهو يعمل موظفًا كبيرًا في إحدى المدن الكبيرة؛ كوالالمبور بعد انتهائه من الدراسة الجامعية. وكان (فكري) موضع تفاخر أبويه لما كان أول من قدر على الالتحاق بالجامعة من بين المجتمع القروي حينذاك. تزوج (فكري) بـ(فاطمة) ورُزقا بولدين: (فريد) و(لامين). دعا (فكري) والديه مرات عديدة بالسكن معه في المدينة إلا أن والديه يصران على السكن في القرية.

أحب تؤيا (لامين) أكثر من (فريد) مع أن كليهما حفيداه؛ لأن (لامين) طيب الخلق وخفيف الظل يسرّه كثيرًا بل يرغب في قضاء الإجازة المدرسية معه في القرية. أراد (تؤيا) أن يتعرف (لامين) على الحياة في الريف الصافي؛ إذ علمه (تؤيا) على حب العيش في الريف. وفي الوقت نفسه، أظهر (لامين) ميولاً إلى حياة الطبيعة، وأبدى رغبة في الحياة القروية، وهذا بطبيعة الحال يجعل جده أكثر سرورًا وسعادة. وذات يوم، أحضر (تؤيا) حفيده إلى الغابة لأخذ العسل من خلية النحل إلا أن الحظ لم يكن مع (تؤيا)، فلسعته النحل. أما (لامين) فقد اتبع ما أمر به جده واستطاع الهروب وإنقاذ نفسه من لسعة النحل المؤلمة.
فوجئ (تؤيا) برجوع (فكري) وأسرته إلى القرية؛ لأنه أصلاً أراد إخفاء المصيبة التي حلت به إلا أن (فكري) في الواقع قد تلقى الخبر من أهل القرية عن الحادثة التي أصابت أباه. أما (بسه) فلم تكن موجودة في البيت عندما وصل (فكري)، بل كانت في حقل الأرز مع حفيدها (لامين). بادر (تؤيا) إلى دعوتهما بالرجوع حتى لا يطيل على (فكري) وأسرته. مشى (تؤيا) وخلفه حفيده الآخر (فريد) إلا أنه أحس بالانزعاج؛ لأن (فريد) ولد غير مؤدب دائمًا يثير أعصابه. وعندما رأى (فريد) أخاه من بعيد، جرى إليه مسرعًا، وفجأة سقط على الأرض وتدحرج فالتوى كاحله؛ لأنه لم يكن متنبهًا وهو يجري.

وبعد الحادثتين اللتين حلتا بـ(تؤيا) و(فريد)، لم يعد يتحمل (فكري) الحياة في الريف، فألح على أبيه الانتقال إلى المدينة. رفض (تؤيا) السكن مع ابنه في كوالالمبور؛ لأنه لا يستطيع أن يترك الحياة الريفية التي عاشها منذ عشرات السنين، وأصبحت الطبيعة الهادئة جزءًا لا يتجزأ من حياته. أما (فكري) فقد نسي أنه ترعرع في القرية وقضى طفولته وصباه فيها، فاستهان بالبيت الريفي الصغير البسيط الذي يسكن فيه أبواه، وشاركته زوجته (فاطمة)، وابنه الكبير (فريد)، دون أن يفكروا في شعور العجوز الرقيق، لاعتقادهم أن كلامهم الموجه إلى أبيهم صحيح.

لقد جرح كلامهم مشاعر (تؤيا) ولا سيما بعد أن سخر (فريد) من كوخه قائلاً: إنه رديء المنظر قابل للهدم بسهولة، مقارنة ببيتهم الفاخر في كوالالمبور. فاشتد حزن (تؤيا) بعد الاستماع إلى هذا الكلام القاسي مع أن (فريد) ولد صغير. وإلى جانب ذلك، أثر قول (فكري) المتوعد في إحساس أبيه؛ إذ ذكر أنه لن يرجع إلى القرية مع أسرته إذا رفض والده السكن معه، ولكنه

[55] Salmiah (2000), *Ensiklopedia Sastera Dunia*, p. 2223; Nursham Abdul Aziz (2015), "Novel-novel Terpilih Azizi Haji Abdullah: Kajian Intertekstualiti," Doctoral Thesis, Universiti Malaya, Malaysia, p. 80.

[56] Nursham (2015), "Novel-novel Terpilih Azizi Haji Abdullah," pp. 77 & 95; Azizi Haji Abdullah (2007), *Kuras-kuras Kreatif*, Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka, p. 100; Azizi Haji Abdullah (2002), "Bicara Karya: Asalnya Pandir, Kemudian Mut'ah Akhirnya Kawin-kawin," *Dewan Sastera*, April 2002, 34-35; A. Rahim Abdullah (2005), "Pemikiran Azizi Haji Abdullah Dalam Karya Cereka," *Dewan Sastera*, April 2005, p. 20.

[57] Azizi (2021), "Seorang Tua di Kaki Gunung."

[58] البيت الصغير البسيط الذي يقصد هنا في هذه الرواية مأوى بسيط يصنع من الأخشاب ومحاصيل الغابة. يتكون جدران البيت من الخيزران، ويصنع سقف البيت من سعف شجرة برتام (Bertam)، وكذلك أجزاء البيت الأخرى المؤلفة من المواد الريفية التي تتوافر في القرية. وشجرة (Bertam) نوع من أنواع النخلة التي تزرع في ماليزيا ومملكة تايلاند، وغالبًا تستخدم لسقف البيت.

في الحقيقة لم يقصد ذلك، فهو في هذا الموقف يأمل أن يتبعه أبوه في السكن معه بالمدينة. أما (تؤيا) فتأثر بهذا القول تأثرًا كبيرًا، فصمم على قطع شجرة الشانجال (Cengal) ،[59] لبناء بيت جديد تلبية للتحديات التي كان يحس بها من ابنه وزوجة ابنه وحفيده.

قطع (تؤيا) ذلك النوع من الشجرة بمفرده على الرغم من أنه عجوز عديم القوة فاقد القدرة، واستغرق تقريبًا عشرين يومًا لإنجاز عمله؛ إذ استخدم كل ما لديه من قوة. ترك (تؤيا) جزءًا أخيرًا من عمله ليوم محدد، وكأن ذلك اليوم "حفلة التدشين" لعمله العظيم، فطلب من (فكري) الرجوع إليه، ودعا أهل القرية إلى الحضور إلى هذه الحفلة. وعندما حان الموعد الذي خصصه (تؤيا)، لم يأت أحد إلا ومعه (بسه). كان (فكري) مشغولاً للغاية بالأعمال الوظيفية بينما أهل القرية عندهم أشغالهم الخاصة. ونتيجة لهذا الأمر، شعر تؤيا باليأس والقنوط وخيبة الأمل، واعتقد أن (فكري) يكرهه ويبغض الحياة في الريف.
وعلى الرغم من ذلك، استمر (تؤيا) في تلك "الحفلة" بمرافقة (بسه)، وكأن شيئًا استولى عليه عندما بدأ بتنفيذ عمله الأخير، إذ كان يمتلك قوة غير عادية لقطع شجرة الشانجال (Cengal) الكبيرة، وأخيرًا سقط جذع الشجرة، وفجأة وقع على فخذ (تؤيا). لم يستطع (تؤيا) الهروب قبل إصابته بساق الشجرة ولم يتمكن من إنقاذ نفسه من هذه المصيبة؛ لأن إحدى رجليه قد علقت بجذور الشجرة المتشابكة. ولم يستطع (تؤيا) أن يتحرك بعد هذا الحادث المأساوي، وأخذ يطلب المساعدة. توجّع (تؤيا) من هذه الحادثة المؤلمة وعانى معاناة شديدة، حتى إنه لم يقدر على تحملها، فبادر إلى زوجته أن تقوم بعمل غريب من أجل التخلص من معاناته الشديدة؛ حيث طلب منها أن تقطع فخذه باستخدام المنشار. ترددت (بسه) في أول الأمر بالقيام بقطع فخذه، ولكنها كانت مرغمة على ذلك، وفجأة، تحرك جذع الشجرة لعدم استقراره في مكانه وأصاب (تؤيا) من جديد، ما أفضى به إلى الوفاة، وفاضت روحه إلى خالقها سبحانه وتعالى.

وبعد هذه الحادثة المأساوية، أدرك (فكري) أن أباه ثابت العزم عظيم الحماسة قوي الهمة، ويصعب عليه تفسير مشاعر أبيه الحقيقية. فلم يكن يظن أن أباه رقيق الشعور شديد الإحساس عندما تأثر بموقفهم من البيت، أما أمه فقد قررت أن تمكث في الريف، أي بالبيت البسيط الصغير الذي تركه زوجها المتوفى لها، وهي أيضًا ثابتة العزم ولها قلب قاس مثل زوجها، فرفضت أن تقيم بالمدينة مع ابنها، (فكري) حتى ولو كان ابنها يدعوها بالسكن معه مرات عديدة.

جمالية الأفكار الاجتماعية والسمات الحضارية في رواية "Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)"

1) العامل الإنساني أساس تقدم الحضارة الإنسانية:

برزت بشكل ظاهر الهوة بين جيل الشباب وكبار السن، وخاصة بين الأبناء وجيل آبائهم في الرواية؛ فنرى أن (فكري) الذي يمثل جيل الشباب، يفكر بطريقة مغايرة تمامًا عن الطريقة التي يفكر بها أبوه (تؤيا) الذي يمثل جيل الكبار. اعتقد (فكري) أن أفضل الطرق لإرضاء والديه وإسعادهما هو دعوتهما إلى السكن معه في مدينة كوالالمبور حتى يستطيع أن يغدق عليهما بالعطف والحنان وأحاطهما بالرعاية، وأراد أن يتمتع أبواه بالخدمات التي لا تتوافر في القرية، كالخدمات الصحية وخدمات الماء والكهرباء وطرق المواصلات المعبّدة وغيرها من التسهيلات اللازمة للحياة. وعلى الرغم من ذلك، فقد رفض (تؤيا) وزوجته (بسه) أن يقيما مع (فكري) في المدينة نظرًا لحبهما الشديد للطبيعة والبيئة المحيطة بالقرية التي عاشا فيها منذ سنوات العمر.
ومن ناحية أخرى، رأى (فكري) – بصفته شابًا – أن جيل الآباء لا ينبغي عليهم أن يقوموا بالأشغال الشاقة التي تحتاج إلى طاقة جسمية مفرطة كالبحث عن محاصيل الغابة والذهاب إلى حقول الأرز وغيرهما من الأعمال المرهقة التي يبذلون فيها جهدًا مضنيًا لسد حاجاتهم، بل من المستحسن لهم أن يستمتعوا بالحياة التي وفرها لهم الأبناء.[60] لذا، نرى أن (فكري) أصر على أن يسكن أبواه معه في المدينة. ومع ذلك، يتناقض هذا الرأي تمامًا مع رأي جيل كبار السن؛ إذ اعتقد (تؤيا) أن التقدم في السن لا يمنعه من القيام بأي عمل مهما كان صعبًا، بل حاول بقدر المستطاع أن يقوم به لكيلا يكون على ابنه وأحفاده حرج، فضلاً عن أنه يؤمن في يقين بأن السكن في القرية يعطيه السعادة الحقيقية، كما ورد على لسان الراوي في النص الروائي الآتي:[61]

> Bunyi cengkerik, bunyi kuang, lotong dan burung hantu yang memecah kesepian malam, adalah nyanyian rimba yang tidak pernah ada di kota. Tukya seperti mahu menempik jika Fikri ada di depannya ketika itu, bahawa kehidupan di sini kehidupan tersendiri. Bersih dan damai. Ketenangan itulah kebahagiaan. Apakah kau sedar ini Fikri?

---

[59] شجرة الشانجال (Cengal) نوع من أنواع الشجرة الكبيرة ذات الأخشاب الصلبة، وهي موجودة في بعض الدول التي تقع في جنوب شرق آسيا، أمثال: شبه الجزيرة الماليزية أو ماليزيا الغربية، وجنوب مملكة تايلاند، وجمهورية سنغافورة. ويستخدم هذا النوع من الشجرة غالبًا في أعمال البناء الثقيلة، منها بناء القوارب والأقطاب والجسور.

[60] Hasnul Fikri (2008), "Konflik dalam Novel-novel Ahmad Tohari dan Azizi Haji Abdullah: Satu Perbandingan dari Sudut Psikologi Sosial," Doctoral Thesis, Universiti Kebangsaan Malaysia, Malaysia pp.175-176.

[61] Azizi Haji Abdullah (1995), *Seorang Tua di Kaki Gunung*, 1st edition, Kuala Lumpur: Creative Enterprise, pp. 63-64.

الترجمة:
"أصوات صرصور الليل، وأصوات كوانج (Kuang)،[62] وأصوات لوتونج (Lotong)،[63] وأصوات البوم وغيرها من أصوات الحشرات والطيور والحيوانات التي تكسر سكون الليل وصمته هي نغمات الغابة المثيرة والرائعة التي لا توجد في المدينة. وأراد (تؤيا) أن يصرخ لـ(فكري) إن الحياة هنا (في الريف) لها ميزة خاصة، فهي حياة نظيفة وهادئة، فالسكينة هي السعادة. ألم تدرك هذا يا (فكري)"؟

نلاحظ في الرواية المدروسة أن الكاتب عرض الصراع الفكري بين المجتمعين: القروي والمدني؛ حيث إن كل واحد منهما حاول أن يثبت صحة ما ذهب إليه. رأى (فكري) وهو يمثل المجتمع المدني أن العيش في المدينة أسعد وأجود؛ لأنه يتميز بالتسهيلات والخدمات التي لا تكاد تعد بأصابيعنا. أما المجتمع القروي الذي يتمثل في شخصيتي (تؤيا) و(بسه)، فقد ذهب إلى أن السعادة في الحياة يمكن أن تتحقق إذا استطاع الفرد أن يستمتع بالهدوء والسكون، خلافا للسمات المدنية المكتظة بالسكان، وقد يتعرض المجتمع المدني للملوثات البيئية المختلفة مما يضر صحتهم. حقيقة، أن الحياة سواء كانت في الريف أم في المدينة لها خصائصها الفريدة وتحدياتها الخاصة، وهي تعتمد في جانب كبير على مدى تكيف الأفراد للبيئة التي تحيط بهم. ومن هنا، نستطيع أن نرى أن العامل الإنساني له دور كبير نحو قبول أي تغيير وقع حوله، وهذا العامل في الواقع عامل أساسي لتقدم الحضارة الإنسانية.

2) توافر الحكمة المحلية (*local wisdom*) لدى المجتمع:
وإلى جانب ذلك، كان (تؤيا) يكترث بالعادات والتقاليد الموروثة التي جاء بها آباؤه وأجداده، ونستطيع أن نرى ذلك بوضوح لا سيما عندما اعتمد (تؤيا) على الكتاب الخاص القديم المسمى بـ"تاج الملوك المرصع بأنواع"،[64] الذي عرض فيه إرشادات تقليدية ونصائح موروثة ملايوية في بناء بيت جديد بناء على أقوالهم.[65] ومن تلك الإرشادات والنصائح ما يتعلق باختيار الخشب الجيد لإنشاء البيت، والوقت واليوم المناسبين لبدء عملية قطع الشجرة، والموقع المناسب لبناء البيت، وكيفية تثبيت عتبة الباب، واختيار الأخشاب الجيدة لأعمدة البيت، وكيفية تركيب درج البيت، وغير ذلك. وعلى سبيل المثال ما جاء في قول (تؤيا) لزوجته (بسه) عن اختيار الشهر المناسب لبدء عملية بناء البيت:[66]

> "Dengar sini," katanya. "Bermula jika mendirikan rumah pada bulan Muharam jadi huru hara atau penyakit empunya rumah itu dan barang siapa mendirikan rumah pada bulan Safar nescaya banyak beroleh harta atau ilmu… Barang siapa mendirikan rumah bulan Rabiulawal nescaya beroleh kematian atau rugi harta dan barang siapa mendirikan rumah bulan Rabiulakhir nescaya beroleh kesukaran atau keras kesakitan dan barang siapa mendirikan rumah bulan Jamadilawal nescaya beroleh harta… Barangsiapa mendirikan rumah bulan Jamadilakhir nescaya beroleh penyakit dan papa; barang siapa mendirikan rumah bulan Rejab nescaya beroleh kelahi bantah atau kesakitan dan barang siapa mendirikan rumah bulan Syaaban nescaya beroleh kemuliaan di dunia dan akhirat."

الترجمة:
"قال (تؤيا) لـ(بسه): اسمعيني، مَن يبني بيتًا في شهر محرم يضطرب أو يمرض، ومن يبني بيتًا في شهر صفر سوف ينال أموالا كثيرة أو معرفة واسعة، ومن يبني بيتًا في شهر ربيع الأول فسوف يتلقى خبر الموت أو فقدان الممتلكات، ومن يبني بيتًا في شهر ربيع الثاني يواجه صعوبة أو يصابُ بمصيبة، ومن يبني بيتًا في شهر جمادى الأول يغنى، ومن يبني بيتًا في شهر جمادى الثاني يسقم أو يصبح فقيرا، ومن يبني بيتًا في شهر رجب يتشاجر أو يتألم، ومن يبني بيتًا في شهر شعبان ينال به شرف الدنيا والآخرة".

لاحظ الباحثون من خلال هذا النص الروائي أن الكاتب حاول أن يغرس في نفوس القراء شعور التقدير تجاه المعارف التي يملكها المجتمع الملايوي القديم. وهذه المعارف العريقة التي تطورت عبر التجارب الإنسانية وهي التي نستطيع أن نجدها أيضا في المخطوطات الملايوية، حقيقة من الأمور الجديرة بالبحث؛ لأنها ستفيد أجيال اليوم، بل أن وجودها يعزز القدرة التفكيرية والحكمة المحلية (*local wisdom*) لدى المجتمع الملايوي. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رقي الفكر وسمو الحضارة للمجتمع الملايوي القديم. ومن هذه المعارف العريقة لديهم ما يتعلق بتشييد المنازل، والملاحة، والعلاج الطبي باستخدام الأخشاب.

---

[62] كوانج نوع من أنواع الطيور الموجودة في غابات ماليزيا.
[63] لوتونج نوع من أنواع القرد الموجودة في غابات ماليزيا.
[64] Azizi (1995), *Seorang Tua di Kaki Gunung*, p. 169.
ومن الجدير بالذكر، أن عنوان الكتاب ورد بالكلمات العربية مع أن المعلومات المذكورة في ثنايا الكتاب مكتوبة بالخط الجاوي إشارة إلى أن المجتمع الملايوي قديمًا عندهم معرفة عن اللغة العربية. ولعل هناك خطأ لغويًا في عنوان هذا الكتاب، والصحيح "تاج الملوك المرصع بأنواع الماس".
[65] Mohamad Mokhtar Hassan (2009), "Seorang Tua di Kaki Gunung: Satu Kajian Intertekstualiti," in Norhayati Ab. Rahman & Tengku Intan Marlina Tengku Mohd. Ali, (eds.), *Monograf: Kesusasteraan Melayu,* Kuala Lumpur: Akademi Pengajian Melayu, Universiti Malaya, p. 55.
[66] Azizi (1995), *Seorang Tua di Kaki Gunung*, p. 152.

3) دعوة المهاجرين وأهل المدينة بعدم ترك القرية والتراث القديم:

نرى أن الكاتب رسم في روايته معالم ريفية صافية، منها كثافة الأشجار الضخمة والنباتات الملتفة المحيطة بالمنطقة التي يعيش فيها (تؤيا)، والبيوت والأكواخ المصنوعة من الأخشاب ومواد الغابة التي تتوافر بسهولة ككوخ (تؤيا)، وخلو المنطقة من التلوث البيئي، وعدم حصولهم على خدمات الماء والكهرباء وطرق المواصلات المعبدة، والجسور المكونة من الأخشاب، وسماع تغريد العصافير، وصياح الديكة، وأصوات الصراصير في الليل، وأصوات البوم، وتوافر الخضروات التي تؤكل نيئة، ووجود الهواء النقي،[67] وغيرها من خصائص البيئة القروية التي لا توجد في المدينة.

ومن ناحية أخرى، وصف الكاتب في الرواية الهوة بين القرية والمدينة بشكل واضح، ومنها ما ورد في الجدول الآتي:

	مميزات	الحياة في القرية	الحياة في المدينة
1	الطعام عند الفطور	الأرز اللزج المطبوخ بالبخار يؤكل مع جوز الهند المبشور والسمك المجفف المقلي.[68] وصف الكاتب على لسان الراوي أن (لامين) يأكل هذا الطعام مع جديه في الفترة الصباحية، بل هذا من مأكولاته المفضلة.[69]	الخبز مع السمن الصناعي، حيث قارن الكاتب على لسان الراوي هذا الطعام بالطعام الموجود عند الفطور في القرية.[70]
2	الحمام داخل البيت	الحمام غير متوفر حيث إذا أراد شخص أن يتبول أو يتغوط، فعليه أن يبحث عن المكان المناسب وراء الشجرة أو خلف حظيرة الدجاج وغيرهما ليخفي نفسه عن أنظار الآخرين. أما الذي يريد الاستحمام فغالبًا هناك ستارة تغطي المكان المعني،[71] كما صور لنا الكاتب كلًا من (بسه) و(لامين) كانا يبحثان عن المكان المناسب للتبرز.	وصف لنا الكاتب أن الحمام في المدينة موجود داخل البيت مقارنة بالحمام في القرية.[72]
3	استخدام الناموسية عند الليل	استخدام ناموسية عند الليل لطرد البعوض، حيث وصف لنا الكاتب أن (بسه) تستخدمها لـ(لامين) قبل أن ينام، فسرّته تلك الناموسية كثيرًا لعدم استخدامه لها عندما ينام مع أسرته في المدينة.[73]	صور لنا الكاتب على لسان الراوي أن (فاطمة) تستخدم لفائف البعوض أو مبيدات الحشرات مورتين (Mortein) في الليل لطرد البعوض، وليست ناموسية السرير.[74]
4	إنارة الطريق	إنارة الطريق غير متوفرة حيث صور لنا الكاتب على لسان الراوي أن المجتمع في القرية يستخدمون الشعلة المصنوعة من قشر النخل.[75]	وصف لنا الكاتب أن المجتمع المدني لديهم تسهيلات عامة كثيرة وفرتها لهم الحكومة منها إنارة الطريق.[76]

وهكذا نرى ثنائية الريف والمدينة الموجودة في الرواية، والتي صدرت عام 1982م، أي 25 سنة بعد أن نالت ماليزيا استقلالها. وتطوّرت المدن الكبيرة في ماليزيا حينذاك، حيث جذبت انتباه القرويين وأبناءَهم ليهاجروا إليها جراء كثرة فرص العمل وتوافر التسهيلات العامة، كالخدمات التربوية والتعليمية والخدمات الصحية وخدمات الماء والكهرباء وطرق المواصلات المعبّدة وغير ذلك.[77] وانطلاقًا من هذا الأمر، نرى محاولة عزيزي لدعوة هؤلاء المهاجرين وأهل المدينة على السواء بعدم التخلي عن ثقافاتهم التقليدية وتراثهم القديم على الإطلاق، وذلك عن طريق غير مباشر.

ومن ناحية أخرى، نلاحظ – من خلال تصوير الكاتب للبيئة الريفية في هذه الرواية – أنه إلى حد ما، يسخر من الحكومة السائدة وسياستها وإدارتها حينذاك؛ إذ ثمة منطقة لم تتوافر فيها التسهيلات اللازمة لخدمة مجتمعها مع أن البلد قد حصل على الاستقلال قبل سنوات عديدة. وكأن الحكومة المعنية من وجهة نظر الكاتب قد قصّرت في واجبها، ولم تقدم خدماتها بشكل مقنع؛ وركزت أكثر على المدن الكبيرة فقط دون المناطق القروية، وكأنها لم تلفت النظر إلى المناطق كلها بصورة شاملة حتى نستطيع أن نجد تلك المنطقة الخالية من الخدمات والمتطلبات الأساسية التي يحتاج إليها أبناؤها، كما صورها الكاتب في روايته. وهذا الأمر ليس فيه أي غرابة من الكاتب؛ نظرًا للموقف السياسي المعارض الذي تمسك به؛ لذا، لا غرو إذا وجدنا محاولته بشكل غير مباشر في التهكم على الحكومة الماليزية السائدة حينذاك عن طريق عمله الروائي.

---

[67] Ibid., pp. 2-3, 5, 20, 24, 26, 103, 105 & 109.

[68] هذا الطعام موجود في أغلب الأحيان في الولايات التي تقع شمال شبه الجزيرة الماليزية مثل ولاية قدح، لذا نقل الكاتب الحياة الواقعية في روايته. ومما تجدر الإشارة إليه، أن المجتمع الملايوي الريفي يأكل الأرز – أيَّ نوع من الأرز – بصفته طعامًا رئيسًا في وجباتهم الثلاث سواء عند الفطور أم الغداء أم العشاء؛ للجهود الكبيرة التي بذلوها طوال اليوم، ومعظمهم فلاحون أو صيادون أو حطاب يكدحون في العمل.

[69] Azizi (1995), *Seorang Tua di Kaki Gunung*, pp. 24, 29, 31 & 69.

[70] Ibid., p.29.

[71] Ibid., pp. 29 & 67.

[72] Ibid., pp. 29 & 58.

[73] Ibid., p. 63.

[74] Ibid., p. 63.

[75] Ibid., p. 98.

[76] Ibid., p. 2.

[77] Tengku Intan Marlina Tengku Mohd. Ali (2006), "Pertentangan Nilai dan Psikologi Orang Tua dalam Seorang Tua di Kaki Gunung," *Jurnal Pengajian Melayu*, Vol. 17, p. 312.

4) قوة العلاقات الأسرية وتضحية أعضاء الأسرة:
نلاحظ العلاقات المبنية على المودة والمحبة والاحترام بين أعضاء الأسرة في الرواية، ولا سيما بين العجوزين: (تؤيا) و(بسه)، وكذلك بينهما وبين حفيدهما (لامين). لقد رسم الكاتب شخصية (بسه) بأنها زوجة (تؤيا) ومطيعة لأمره في كل وقت، إلا إذا لم تقتنع برأي زوجها، فتبادر إلى إظهار ذلك الشعور بإبداء وجهة نظرها دون قلق وخوف. وعلى الرغم من ذلك، فقد أظهرت (بسه) حبها لزوجها خاصة عندما أصيب بالحادثة التي أدت به إلى الغيبوبة حين أراد أن يأخذ العسل من خلية النحل؛ إذ لسعته النحل، فبدت العبرات في خديها إشارة إلى شدة قلقها نحو الألم الذي كان يعانيه زوجها.[78] وبلغ هذا الحب ذروته عندما صور الكاتب (بسه) وهي تبكي بكاء شديدًا قبل أن تفقد وعيها حين أدركت أن زوجها توفي بين يديها، وكان (تؤيا) قبل هذا يطلب من زوجته (بسه) أن تقطع فخذه الذي وقع عليه ساق شجرة الشانجال (Cengal) باستخدام المنشار آملاً في تخفيف معاناته من الألم.[79] وإلى جانب ذلك، وصف الكاتب حب (لامين) لجدّه حين دمعت عيناه عندما رأى جده متألمًا، وقد احمرّ وجهه منتفخًا ومتورمًا إثر قرصة النحل الموجعة، فدعا (لامين) لجده بالشفاء العاجل.[80] وكان أيضًا ينتظر جده في المستشفى مع جدته ليومين متتاليين دون تعب وكلل دليلاً على حبه له.

المقارنة بين جمالية الأفكار الاجتماعية والسمات الحضارية في روايتي: "أم النذور" و" Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)"[81]

أوجه التشابه:

1) ظهور البيئة الريفية:
فقد رسم منيف في رواية "أم النذور" أجواء القرية ومناخاتها وما يتصل بها من معالم ريفية وسمات قروية، منها النهر والطاحونة والتكية والبيوت الطينية والجامع والكتّاب والدكاكين والنباتات العديدة وأشجار الدلب وغير ذلك. ونرى أيضًا أن مجتمع قرية "الشيخ مجيب" كان يحافظ على الصلوات المفروضة ويلتزم رجالها بأدائها في الجامع جماعة، كما صور لنا ذلك عزيزي في روايته؛ ما يجعلنا نعتقد أن مجتمع القرية غالبًا ما يهتم بتعاليم الدين الإسلامي ويلتزم بها أكثر. ومع ذلك، وصف لنا منيف أن الناس في حي "الشيخ مجيب" لا يزالون أميين يؤمنون بالخرافة والشعوذة؛ إذ لجأوا إلى شجرة "أم النذور" وبركات الشيوخ بدل الاستعانة بالله في حل مشاكلهم أو عندما أصابهم أي ضرر أو مكروه؛ لأنهم يعدونها صحيحة ولكنها حقيقة تعود بهم إلى الوراء حيث التخلف والجهل.

ومن زاوية أخرى، تعرض رواية عزيزي الموسومة بـ"Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)" البيئة الريفية أيضًا. ونرى أن الكاتب في بداية الرواية صور المواصفات القروية الصافية منها كثافة الأشجار الضخمة والنباتات الملتفة المحيطة بقرية جونونج بونجسو (Gunung Bongsu)، والبيوت والأكواخ المصنوعة من الأخشاب ومواد الغابة التي تتوافر بسهولة، وخلو القرية من التلوث البيئي، وعدم حصولها على خدمات الماء والكهرباء وطرق المواصلات المعبدة، والجسور المكونة من الأخشاب، ووضوح أغاريد العصافير، وصيحة الديوك، وأصوات صراصير الليل والخنافس، وأصوات الأبوام، وتوافر الخضروات التي تؤكل نيئة، ووجود الهواء النقي، وغير ذلك، ومن ثم، نرى حياة الفقر في هذه القرية كما أشار منيف إلى الأمر نفسه في قريته.

نلاحظ أيضًا أن الكاتب أبرز العادات والتقاليد الملايوية التي يتوارثها الآباء والأجداد ويتشبث بها مجتمع القرية، وخير مثال على ذلك شخصية (تؤيا) الذي كان يتكئ على إرشاداتهم التقليدية الواردة في الكتاب الخاص القديم الموسوم بـ"تاج الملوك المرصع بأنواع" لبناء بيت جديد. وكان يحاول بقدر المستطاع أن يتعقب نصائحهم، خوفًا من أن تطرأ عليه مصيبة. ومن ناحية أخرى، نجد التكافل الاجتماعي بين القرويين – كما صور لنا ذلك منيف في روايته – حيث كانوا يتعاونون مع بعضهم بعضًا ويسرعون إلى مد يد العون للمحتاجين دون توقع أي مقابل، لا سيما عندما يصيب أحدهم أي حادثة أو مرض أو ضرر. لاحظ الباحثون أن توظيف الروائيَين للبيئة الريفية في روايتيهما مهم للغاية؛ لأنه سمة من سمات الحضارة الإنسانية. فالقرية هي المكان الأساسي الذي يستقر فيه المجتمع قبل أن يتحول بعد ذلك إلى المدينة مع مرور الزمان إذا تعاون كل فرد في سبيل تطوير القرية. وفي سياق تقدّم الحضارة، حقيقة لا نستغرب إذا عثرنا على تمدّن القرية حيث إنها تكون بؤرة المجتمع والمركز الرئيس لهم، من جراء أنها تتميز بكثرة التسهيلات، واستقرار السياسة، وجلب الاقتصاد، وتوفر المعاهد العلمية والأسواق التجارية، كما أن المجتمع فيها يتمتع بالحياة الطيبة وينعم برغد العيش.

2) ثنائية الفكرة بين الجيلين؛ الآباء والأبناء:
تناول منيف وعزيزي هذا المحور في روايتيهما إلا أن كلاً منهما اختلفا في تقديمه. نلاحظ أن (منيف) قد عرض الصراع الفكري بين التقليديين والحداثيين في رواية "أم النذور" في أمرين اثنين، أولهما: ما يتعلق بإرسال الأطفال إلى الدراسة سواء أكانت في الكتّاب أم المدرسة النظامية، وثانيهما: ما يخص الإيمان بقدسية الشيوخ أو عدم الإيمان بها. وقد صور الكاتب هذا

[78] Azizi (1995), *Seorang Tua di Kaki Gunung*, p. 104.
[79] Ibid., pp. 214-218.
[80] Ibid., pp. 97-98.
[81] ينظر: نور سفيرة أحمد سفيان، **القضايا الموضوعية والفنية في الروايات العربية والماليزية: عبد الرحمن منيف وعزيزي الحاج عبد الله أنموذجا: دراسة تحليلية مقارنة**. أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2017.

الصراع الفكري بين (الحاج حسيب) التراثي التفكير والمتحجر ذهنيًا، والأخ لزوجته – المجهول اسمه في الرواية – المتحرر من حبال الماضي والمنفتح ذهنيًا؛ حيث نرى أن (الحاج حسيب) من أنصار التعليم في الكتّاب الذين يرتكزون على العنف والقسوة، والذين يؤمنون ببركات الشيوخ، بينما يمثل أخ زوجته مؤيدي التعليم في المدرسة النظامية، والذين ينكرون فكرة بركات الشيوخ وقدسيتهم. وينتهي هذا الصراع بانتصار الأفراد المتحررين من حبال الماضي والمنفتحين ذهنيا.

ومن جانب آخر، عالج عزيزي المحور نفسه بأسلوب يختلف عن منيف. نلاحظ أنه سلط الضوء على الصراع الفكري بين كبار السن والشباب في رواية "Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)"؛ إذ صور شخصية (تؤيا) وهو يمثل جيل الكبار، وابنه (فكري) وهو يعكس جيل الأبناء المراهقين. وبما أن هذا الصراع وقع بين جيلين مختلفين، نرى أن كل واحد منهم أراد أن يثبت صحة ما ذهب إليه؛ حيث اعتقد (فكري) أن السكن في المدينة التي تتميز بالتسهيلات الكثيرة أفضل من السكن في القرية، لذا دعا والديه إلى الإقامة معه إلا أن (تؤيا) رفض ذلك، بل أكد غير مرة أن القرية أفضل؛ لتميزها بجمال الطبيعة وروعة المناظر الخلابة التي يتمتع بها منذ سنوات طويلة. وهذا الأمر لا يستطيع (فكري) أن يستوعبه، وهذا كان سببًا في إصرار(تؤيا) على بناء بيت جديد مصنوع من شجرة الشانجال (Cengal) بعد أن أحس أن ابنه تحداه إلا أنه توفي بسبب الحادثة المأساوية التي أصابته قبل أن يتحقق أمله. ومن هنا نجد بشكل ظاهر في الروايتين التعارض الفكري بين التقليديين أو جيل الآباء المسنين المتمسكين بالعادات والتقاليد، والحداثيين أو جيل الأبناء الذين آثروا التحضر والتقدمية.

أوجه الاختلاف

1) تفاوت قضية السلطة الزوجية:
عرض منيف وعزيزي هذا المحور في روايتيهما إلا أنهما اختلفا في معالجته؛ فنرى أن (منيف) قد تناول السلطة الزوجية في رواية "أم النذور"؛ وصور فيها محاولة الزوج إخضاع زوجته لأمره وقراره دون أن تجد الزوجة مجالاً للتدخل فيه أو للتعبير عن رأيها، ويمثل ذلك والد (سامح) وأمه، ربما لأن أبا (سامح) أراد أن يظهر مهابته وقوته ورجولته، فهو لا يسمح لزوجته أن تبدي رأيها وتتخذ أي قرار حتى لو كان الأمر مختصًا بالشؤون الأسرية أو المنزلية، وإذا حاولت ذلك فلا يستمع إليها؛ لأنه يحب أن يستمع إليه الآخرون؛ ولكنه مع ذلك لا يقبل رأيًا آخر مخالفًا له. وفضلاً عن ذلك، رسم الكاتب المراسم التي هيأت لاستقبال والد (سامح) من قبل زوجته وبناته استقبالاً حارًا حين رجع من العمل، وكأنه زعيم عظيم ذو نفوذ وسطوة كبيرة، تخدمه زوجته طوعًا أو كرهًا؛ وهذا يختلف عما يشجعه الإسلام للعلاقة بين الزوجين.[82]

أما عزيزي فقد تحدث عن العلاقة المبنية على المودة والاحترام بين الزوجين في رواية " Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)"؛ ولا سيما بين العجوزين: (تؤيا) و(بسه). لقد رسم الكاتب شخصية (بسه) بأنها زوجة (تؤيا) ومطيعة لأمره في كل وقت، إلا إذا لم تقتنع برأي زوجها، فتبادر إلى إظهار ذلك الشعور بإبداء وجهة نظرها دون قلق وخوف. ومع ذلك، فقد أظهرت (بسه) حبها لزوجها خاصة عندما أصيب بالحادثة التي أدت به إلى الغيبوبة حين أراد أن يأخذ العسل من خلية النحل؛ إذ لسعته النحل، فبدت العبرات في خديها إشارة إلى شدة قلقها نحو الألم الذي كان يعانيه زوجها.[83]

2) تباين سلوكيات الرجل المتدين:
نرى هذه الفكرة في الروايتين المختارتين إلا أنها تختلف من كاتب إلى كاتب آخر. حاول منيف تشويه سمعة الرجل المتدين حين صور في رواية "أم النذور" التصرفات الشنيعة للشيوخ الذين كانوا يلقنون الأطفال القراءة والكتابة في دار القرآن العظيم بطريقة مثيرة للاشمئزاز، وفيها بغض وحقد دفين في النفوس، كما وجدنا في شخصية (الشيخ زكي) الذي اعتقد أن استخدام القضبان متفاوتة الطول للضرب هو الأسلوب الأمثل في تربية الأولاد. ولم يكتف الكاتب عند هذا الحد، بل لجأ إلى وصف الصراخ المؤذي الذي قام به (الشيخ زكي) تجاه الأطفال، وما تردد على لسانه من الكلمات البشعة واللعنات مثل: "الخنزير"، و"الحمار"، و"الكلب"، وغيرها من الأقوال النابية. ثم، رسم لنا الكاتب بأن (الشيخ زكي) في الحقيقة لا يرغب في تعليم الدروس القرآنية للأطفال إلا من أجل الأجرة ومصالحه الشخصية، وكأنه يستغل الدين لنفسه ولتحقيق سعادته. ومن ثم، نلاحظ أن الكاتب بأسلوبه الساخر عاب على الرجل المتدين عامة وشيخ الكتّاب خاصة، ووصفه بصفات لا تليق به.

أما عزيزي فقد اختلف عن منيف في معالجة هذا المحور؛ إذ وصف لنا القيم الأخلاقية التي أظهرها الرجل المتدين في رواية "Seorang Tua di Kaki Gunung (الرجل العجوز على سفح الجبل)"، كما نرى ذلك في شخصية (لباي عات) المتمسك بالتعاليم الإسلامية الصحيحة والملتزم بها. وصور لنا الكاتب أن (لباي عات) كان يحب إسداء المعروف إلى أهل القرية ويقدم العون لهم، ويسرع في تقديم المساعدة للمحتاجين ولو كان الوقت متأخرًا جدًا، مثلما ساعد (تؤيا) المصاب بالحادثة عندما لسعته النحل حين أراد أخذ العسل من الخلية، فأخذه (لباي عات) مع جيرانه الآخرين إلى المستشفى. وقد رسم لنا الكاتب أيضًا أن (لباي عات) كان يقرأ القرآن ويتضرع إلى الله سائلاً المولى عز وجل أن يشفي (تؤيا) الذي كان غائبًا عن وعيه،

[82] Hessa Alotaibi (2021), "Women and Community Services in Islamic History," *Journal of Al-Tamaddun*, Vol. 16, No. 2, pp.49-57.
[83] Azizi (1995), *Seorang Tua di Kaki Gunung*, p. 104.

فظهر توكل (لباي عات) على الله سبحانه وتعالى. ومن هنا نرى أن الكاتب حاول إبراز الصفاء النفسي والصلاح الأخلاقي الذي يتسم به الرجل المتدين، وهو نموذج مثالي يقتدى به قولاً وفعلاً.

الخاتمة

وبناء على ما سبق، خلص الباحثون إلى عدة نتائج، ومن أهمها:

1) يلعب الفرد دورا مهما في سبيل رقي الحضارة، فالمعارف والتجارب الإنسانية المكتسبة طوال حياته، عامل أساسي في سبيل تقدم الدولة وحضارتها. وإذا لم يملك الفرد المعارف الأكبر والتجارب الأوسع فلم يتمكن من بناء الحضارة وتشييدها. وانطلاقا من هذا الصدد، نجد أن (منيف) في روايته سخر بشكل غير مباشر ممن أهملوا عملية التعليم والتعلم وخاصة الماضوي التفكير والمتحجر الذهن الذي غالبا يمكث في القرية. وهو في هذا المقام أراد أن يشير إلى أهمية طلب العلم بشكل منظم لدى أبناء القرية حتى يتمكنوا من تطوير قريتهم إلى المستوى الرفيع فتمدّنت، ومن ثم يقدرون على بناء الحضارة الإنسانية. والأمر نفسه نجده في رواية (عزيزي) حيث إنه عرض لنا المعارف العريقة التي يملكها المجتمع الملايوي القديم لا سيما في بناء البيت، فتتجلى القدرة التفكيرية والحكمة المحلية لديهم.

2) تمثل الروايتان تجارب الكاتبين في الحياة، وكانت تجاربهما عاملاً مساعدًا في نتاجهما الأدبي حتى كان لها أثر أدبي وفني بليغ في روايتيهما. ولهذا، استطاعا استغلال فرصة هذه التجارب الحياتية وما تحمله من مواقف مختلفة؛ حيث إنهما كانا قادرين على رسم الشخصيات في الروايتين رسمًا مقبولاً ومقنعًا. وقد التزم الكاتبان أيضًا بإدراج عنصر المفاجأة؛ ما يجعل القارئ يتشوق إلى متابعة الروايتين صفحة بعد صفحة، حتى يعرف النهاية التي سوف تؤول إليها أحداثهما، ولا سيما مصائر الشخصيات.

3) يلتقي الكاتبان أيضًا في معالجة فكرتي: ظهور البيئة الريفية وثنائية الفكرة بين الجيلين؛ الآباء والأبناء؛ إذ أماطا اللثام عن حياة الفقر والبؤس التي يعانيها أهل القرية، وحياة التكافل الاجتماعي بين القرويين؛ حيث كانوا يتعاونون مع بعضهم بعضًا ويسرعون إلى مد يد العون للمحتاجين دون توقع أي مقابل، لا سيما عندما يصيب أحدهم أي حادثة أو مرض أو ضرر. أما الصراع الفكري بين المجتمع التقليدي والمجتمع الحداثي فقد لاحظنا أن (منيف) صوره بين أنصار التعليم في الكتّاب الذين يؤمنون ببركات الشيوخ وبين الذين يؤيدون التعليم في المدرسة وينكرون قدسية الشيوخ. ويُظهر عزيزي الفكرة نفسها؛ إذ رصد الصراع بين كبار السن والشباب المراهقين عن أفضلية السكن والقطن سواء كانت في القرية أم في المدينة.

4) يتباين الكاتبان في معالجة المحاور في الروايتين، وهما: قضية السلطة الزوجية، وسلوكيات الرجل المتدين. ونرى أن (منيف) تناول موضوع سلطة الزوج في روايته؛ بينما عزيزي كشف موضوع العلاقات المبنية على المودة والاحترام بين الزوجين في نتاجه الروائي. وقد ظهرت محاولة منيف في تشويه سمعة الرجل المتدين، في حين أشاد عزيزي بحسن سمعة المسلم الملتزم بالدين الإسلامي في روايته.

الإقرار

تم تمويل هذا البحث من قبل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا – مشروع: IRF19-025-0025.

References

A. Rahim Abdullah (2005), "Pemikiran Azizi Haji Abdullah Dalam Karya Cereka," *Dewan Sastera*, April 2005.

Abu Zayd, Sami Yusuf (2017), *Al-Adab al-Muqaran: al-Manhaj wa al-Tatbiq*, 1st edition, Amman: Dar al-Masirah li al-Nashr wa al-Tawzi' wa al-Tiba'ah.

Alotaibi, H. (2021), "Women and Community Services in Islamic History," *Journal of Al-Tamaddun*, Vol. 16, No. 2, 49-57.

Azizi Haji Abdullah (1995), *Seorang Tua di Kaki Gunung*, 1st edition, Kuala Lumpur: Creative Enterprise.

Azizi Haji Abdullah (2002), "Bicara Karya: Asalnya Pandir, Kemudian Mut'ah Akhirnya Kawin-kawin," *Dewan Sastera*, April 2002, 34-35.

Azizi Haji Abdullah (2007), *Kuras-kuras Kreatif*, Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka.

Azizi Haji Abdullah (2021), "Seorang Tua di Kaki Gunung," retrieved on 25 April 2021, https://www.goodreads.com/book/show/6442189-seorang-tua-di-kaki-gunung.

Cañada, Luis Miguel (2009), "Diddu al-Zaman al-Mutasarrib," in Faysal Darraj et al. (ed.), *Abd al-Rahman Munif: 2008*, 1st edition, Beirut: Al-Muassasah al-Arabiyyah li al-Dirasat wa al-Nashr.

Hashim Awang (1988), *Kritikan Kesusasteraan: Teori dan Penulisan*, Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka.

Hasnul Fikri (2008), "Konflik dalam Novel-novel Ahmad Tohari dan Azizi Haji Abdullah: Satu Perbandingan dari Sudut Psikologi Sosial," Doctoral Thesis, Universiti Kebangsaan Malaysia, Malaysia.

Ibn Khaldun (2010), *Tarikh Ibn Khaldun*, Jil.1, 1st edition, Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.

al-'Id, Yumna (2009), "al-Ma'rifah wa Kitabah al-Sirah 'inda Abd al-Rahman Munif," in Faysal Darraj et al. (ed.), *Abd al-Rahman Munif: 2008*, 1st edition, Beirut: Al-Muassasah al-Arabiyyah li al-Dirasat wa al-Nashr.

al-Mahadeen, Adnan Muhammad Ali (2006), "Tayyar al-Wa'yi fi Riwayat Abd al-Rahman Munif," Doctoral Thesis, Mutah University, Jordan.

Malayeri, Yadollah Ahmadi (2010), "Al-Riwayat al-Siyasiyyah bayna al-Farisiyyah wa al-Arabiyyah: Ahmad Mahmud wa Abd al-Rahman Munif Namuzajan," Doctoral Thesis, University of Damascus, Syria.

Mohamad Mokhtar Hassan (2009), "Seorang Tua di Kaki Gunung: Satu Kajian Intertekstualiti," in Norhayati Ab. Rahman & Tengku Intan Marlina Tengku Mohd. Ali, (eds.), *Monograf: Kesusasteraan Melayu*, Kuala Lumpur: Akademi Pengajian Melayu, Universiti Malaya.

Mohamad Yazid Abdul Majid (2010), "Perbandingan Bahasa Kiasan Dalam Cerpen Arab dan Melayu," Master Dissertation, Universiti Malaya, Malaysia.

Monazam, H. N. & Mansowry, R. (2010), "Al-Adab al-Muqaran: Madarisuhu wa Majalat al-Bahth Fihi," *al-Turath al-Adabi*, Vol. 2, No. 8, 125-141.

Munif, 'Abd al-Rahman (2012), *Umm al-Nuzur*, 3rd edition, Beirut: Al-Muassasah al-Arabiyyah li al-Dirasat wa al-Nashr.

Munif, 'Abd al-Rahman (2013), *Sirah Madinah: Amman fi al-Arba'inat*, 5th edition, Beirut: al-Muassasah al-Arabiyyah li al-Dirasat wa al-Nashr.

Nursafira Ahmad Safian & al-Qudah, Mohamad Ahmed (2017), "Qadaya Maudu'iyyah fi *Umm al-Nuzur* li al-Riwa-I Abd al-Rahman Munif: Dirasah Tahliliyyah Naqdiyyah," *Majallah al-Dirasat al-Lughawiyyah wa al-Adabiyyah*, Vol. 8, No. 1, 159-183.

Nursafira Ahmad Safian (2017), "Al-Qadaya al-Maudu'iyyah wa al-Fanniyyah fi al-Riwayat al-'Arabiyyah wa al-Maliziyyah: Abd al-rahman Munif wa Azizi Haji Abdullah Unmuzajan: Dirasah Tahliliyyah Muqaranah," Doctoral Thesis, University of Jordan, Jordan.

Nursham Abdul Aziz (2015), "Novel-novel Terpilih Azizi Haji Abdullah: Kajian Intertekstualiti," Doctoral Thesis, Universiti Malaya, Malaysia.

al-Qa'id, Yusuf (2008) "Abd al-Rahman Munif," *Sahifat al-Ra'yi: Thaqafat*, Amman, A0-10739, 25th November.

al-Qashami, Muhammad (2013), *Tarhal al-Tair al-Nabil*, 1st edition, Beirut: Dar al-Kunuz al-Adabiyyah.

Salmiah Ismail (ed.) (2000), *Ensiklopedia Sastera Dunia*, Kuala Lumpur, Dewan Bahasa dan Pustaka.

Tengku Intan Marlina Tengku Mohd. Ali (2006), "Pertentangan Nilai dan Psikologi Orang Tua dalam Seorang Tua di Kaki Gunung," *Jurnal Pengajian Melayu*, Vol. 17, 3-12.

Ungku Maimunah Mohd. Tahir (2006), "Pemahaman dan Penerapan Sosiologi Sastera dalam Sastera Melayu Moden," *Akademika*, Vol. 69, 3-16.